المرحوم آية الله
السيد علي اصغر الموسوي اللاري

حاجة الأنام إلى النبي "ص" والإمام "ع"

تعريب
محمد هادي اليوسفي الغروي

بسم الله الرحمن الرحيم

حاجة الأنام

الى

النبي والإمام

بقلم المرحوم آية الله السيد علي أصغر الموسوي اللاري

تحرير و تعريب الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

اسم الكتاب حاجة الانام الى النبي و الامام
المؤلف المرحوم آية الله السّيد علي اصغر الموسوي الارى
المترجم الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي
تاريخ الطبع رجب ١٤٢٤ هـ.ق
المطبعة الهادي
العدد ٢٠٠٠ نسخه
شابک ISBN ٩٦٤-٥٨١٧-٠٩-٩

مركز نشر الثقافة الاسلامية في العالم

Sayyed Mojtaba Musavi Lari
Foundation of Islamic C P.W.
21 Entezam St., Qom, I.R. Iran
Tel: [0251] 6605408 - 6609550
Fax: [0251] 6602335
Website: www.musavilari.org

مقدمة المؤلف

يصادق المتدرّبون في علوم الدين والملتفتون الى السِيَرِ والتواريخ الاسلامية على أن جميع فرق الاسلام منذ صدر الاسلام حتى أواخر القرن الماضي، كانوا باتّفاق الكلمة يشترطون في الرسول والنبيّ علائم ومميّزات، من العصمة «بمعنى يأتي» والمعاجز «بمراتبه الثلاث». نعم كان هناك بين أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام وساير المسلمين خلاف في أن الأوّلين يرون العصمة شرطاً في الامام أيضاً، بينما لا يراها الآخرون شرطاً فيه.

وحينما كنّا ننظر الى عمق النزاع وكنُه الخلاف بين هاتين الفرقتين من المسلمين كنّا نرى الخلاف لفظيّاً الى حدّما، وبالامكان أن نُصلح بينهما، ذلك أن الشيعة يرون أن الامامة منصب آلهي ورئاسة عامة في الدين والدنيا «كما سنأتي على دعواهم هذه بأدلتها اجمالاً» ولذلك يشترطون نصّ النبيّ عليه وتعينه له وعصمته في نفسه. بينما السنة لا يرون الامامة والخلافة منصباً آلهيّاً، بل يرون الخلافة زعامة سياسية وسلطة كالجمهورية، و لذلك لم يشترطوا في الخليفة التعيين و التعريف به من قِبل النبيّ، و لاصفةالعصمة، بل حتى العدالة الشرعية، و لكنّهم يتّفقون مع الشيعة أساساً في أصل الدعوى بأنّ منصب الزعامة العامّة لو كانت من قِبل الله تعالى فانها

لاتكون بلا علائم وشروط خاصة.

فنحن حينما نلاحظ أصل هذا النزاع و فرعه نراه يدور حول أصل وعلى أساس علمي ومنطقي..

.. حتى أسفّ الزمان وأصبح الرصيد العلمي و المنطقي فيما بيننا ضئيلاً ضعيفاً وتراجعت العامّة لقهقهراء، حتى أصبحت ـ لعدم معرفتها بأصول دينها ـ تتفرق بكل ريح كالهمج الرّعاء، وتميل الى أشباه الأبقار كبني اسرائيل!.

ومن ناحية اخرى فان أعداء الاسلام، من أجل تحطيم عظمة هذه الأمة وكسر شوكتها ووحدتها، أثاروا فيها نيران الفرقة والخلاف حتى تشكلت فيهم شيئاً فشيئاً فرق «البابيّة»[1] و«البهائية»[2] و«الأزلية»[3] وأخيراً «الكسروية»[4]!.

وقد ساعدت يد التقدير، والاختيار الآلهي، ففاحت بين هذه الأمة شيء من نسيم حرية البيان والقلم، و ساعدت الطبيعة الشهوانية على انتشار هذه الفرق المنافقة والاباحية غير الملتزمة بشيء نهائياً سوى شهواتها، حتى أنك ترى هذه الأيام[5] ايران ـ وهي مهد العلوم و المعارف ـ أصبحت وكأنها من غابات أفريقيا والهند، فالدعاوي تلتقي آذاناً صاغية مهما كانت ظالمة ومن أيّ مدّعٍ جاهل وأعمى ولو كانت دعوى الربّوبية! ثم لا يسألون ماهو أساس هذه الدعوى من العلم

---

(١) البابية: نسبة الى السيد علي محمد الشيرازي الذي ادّعى أول أمره أنه باب الى الامام الغائب المنتظر المهدي عليه السلام. وقد انقرضت البابية ـ المعرّب.

(٢) البهائية: نسبة الى عبد البهاء الذي ظهر بعد الباب وادّعى أنه الامام الحسين عليه السلام رجع الى الحياة حسب عقيدة الرجعة بعد الظهور. وهم اليوم الباقون من أتباع دعوة الباب ـ المعرّب.

(٣) الأزلية: نسبة الى السيدة صبح الأزل التي ظهرت بعد الباب وادعت أنها فاطمة عليها السلام رجعت الى الحياة حسب عقيدة الرجعة بعدالظهور. وقدانقرضت الأزلية ـ المعرب.

(٤) الكسروية: نسبة الى السيد أحمد الكسروي التبريزي الكاتب الاستعماري الذي ادّعى كأنه نبيّ، ولم يشكّل ديناً أو مذهباً وانما وجد أنصاراً انقرضوا. وأطلق عليه الرصاص المرحوم الشهيد محمد حسين الواحدي الاصفهاني القمي سنة (١٩٤٧م) ففتله ـ المُعرّب.

(٥) كتب المؤلف العلامة ذلك قبل اكثر من خمسين عاماً، في حوالي سنة ١٢٢٥ هجرية شمسية ـ المُعرب.

والمنطق؟ ولايقولون مثلاً: ما معنى دعوى النبوة والرسالة في حين أنّ ختم النبوة ضرورة في الاسلام؟! وأن للنبوة والامامة مقاييس وملاكات، فلوكانت الملاكات هي ما يملكه رؤوس تلك الفرق من فقدان الثقافة و النزاهة، والفسق والفجور، والخداع والتزوير.. فانّ في كثير من العامّة كثير من هكذا مقاييس، فلماذا أنتم تدّعون الكبرياء لأنفسكم خاصة؟!.

أفلا يعلم هؤلاء من جاء في هذا الدين الحنيف ممن أضاء بأشعة أنوار علومه العالم؟! وقد قارنوا وقاسوا هذا الدين بمقاييس العقول والعقلاء فلم يروا فيه أي نقص أو قصور أو خلل، وخضعوا له وسلّموا اليه تسليماً. ألم يسمعوا أن كبار الفلاسفة كالمعلم الثاني أبي نصر الفارابي، وأبي علي ابن سينا، والمحقق الطوسي، والامام الغزّالي، والمير داماد، والشيخ بهاء الدين العاملي، وصدر المتألّهين الشيرازي، والفيض الكاشاني وغيرهم، ممن امتلأت كتب التراجم بذكر أساميهم وتراجم أحوالهم وآثارهم، قد قارنوا وقاسوا هذا الدين بفلسات الحكماء السابقين فأذعنوا وصدّقوا برجحان برهان هذا الايمان على كل الأديان.

وكم يبعث على الحيرة والعجب والألم أن يقوم عدد من الناس المتلوثين ممن لايعُدّون في أي صنف من أصناف العلماء في العالَم، وبدافع حبّ الظهور والرئاسة والاستعلاء والجاه، وبتحريك الأجانب، يقوموا بكل وقاحة وصلافة فيقابلوا القرآن المعجز أو الكلمات الحكيمة لائمة الاسلام بالكلمات السخيفة والمُضحكة من «البيان»[1] و«الايقان»[2] وانكار القرآن الكريم وشرح أحاديث الرسول وأخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام من الكتب و التصانيف ما يعسر عدّه فحسب، وبعد لم يصلوا الى جميع الحقائق المودَعة فيها وهم يعترفون بعجزهم عن ذلك .. هذا من ناحية..

---

(١) البيان، مجموعة تلفيقات سخيفة بعربية غير صحيحة جاء بها السيد علي محمد الشيرازي وادّعى أنها ناسخة للقرآن الكريم ـ المُعرب.

(٢) الايقان: شرح لأباطيل البيان لفضل الله الكلبايكاني ـ المُعرب.

ومن ناحية اخرى: يتقمّصون سربال النبوة والامامة على قاماتهم القصيرة، على خلاف ضرورة العقل والعقلاء، ثم ينكرون نزول الوحي على الأنبياء وصدور المعاجز منهم من قِبل الله تعالى، ثم بطبعهم ونشرهم ذلك في الجرائد يسجّلون جهلهم وضحالة ثقافتهم. وقد يروّجون الأصول الداروينية ضمن انكارهم لتأثير الدعاء والتوسّلات مع أنها نظرية مردودة مطرودة منفية في المجتمع الدوّلي العلمي و دوائر المعارف العالمية. وقد يتوسّلون ببعض المراسيم و العادات التي لا أساس لها من الصحة والتي انما يفعلها ويعملها السفلّة و الجهلة فيتمسّكون بها ليواجهوا بها الاسلام وزعماء المسلمين. ولا نعلم ماهو هدفهم وأصل مقاصدهم؟ فلوكانت غايتهم أن يحوزوا سيادة هذا المجتمع و الرئاسة عليه فانها لا تكون الا برصيد، فليجهدوا ليكونوا من فلاسفة الاسلام كالفارابي وابن سينا والشيرازي، أو من الفقهاء الكبار كالشيخ الأنصاري أو السيد الشيرازي أو السيد الأصفهاني.. ولوكانت غايتهم تلقيح الفتنة لافتتان الناس عن دينهم لتقديم غايات أسيادهم، فاننا ننصح أسيادهم أن يتّخذوا العِبرَ والدروس من الماضي و يرحوا أنفسهم، فليست هذه ساحة مفتوحة لتجوالهم فيها.

وأنا أرى أن منشأ هذه الفتن هو الجهل وفقدان المعرفة و الثقافة في الأمة، ولا دواء لعلاج هذا الداء ولدفع هذا العداء اكثرا أثراً من سلاح العلم والمعرفة. فالواجب يفرض على حُرّاس هذا الدين والدولة أن يسعوا سعياً حثيثاً ودؤوباً في توسيع نطاق المعارف الدينية، واعداد وسائل التقدم لها. ولايتم هذا الهدف الا باصلاح المعارف و تهذيبها في هذه البلاد، ونشر الكتب الدينية والأخلاقية بين أفراد المجتمع.

ومن هنا.. كنت منذ مدة افكّر في تأليف كتاب مختصر في مقاييس و ملاكات النبوة والامامة، كما أثبتها المحققون من المتكلمين وكبار فلاسفة الاسلام بالأدلة والبراهين المنطقية، ومن خلال أيات كتاب الله و أخبار الأئمة الاطهار عليهم السلام؛ لألقم به حجراً في أفواه من ينكرون لزوم المعاجز للأنبياء والأئمة.. ولهذا فقد بدأت بكتابة هذه الرسالة المختصرة في: وجه

حاجة البشر الى البنيّ والامام، ثم ملاكات النبوة والامامة.. لكي يتعرف القراء الكرام من الاخوة المؤمنين ببعض أصول مذهب أهل البيت عليهم السلام، ويعلموا بذلك كم أنّ من تحاول تلك الفرق المنافقة أن تصفه بالنبوة أو الامامة.. كم هؤلاء، مدلّسون دجّالون، ولا يبالون!.

السيد علي أصغر

الموسوي اللاري

حاجة البشرية الى الرسول والرسالة

تتضح وتثبت حاجة البشرية الى الرسول والرسالة بالالتفات الى البرهانين الآتيين، بدقّة وامعان وتأمّل:

البرهان الأول: ليس الانسان في حياته كسائر الحيوانات بحيث يتمكن وبمفرده أن يستمر في حياته لوحده فيكتفي في مطعمه وملبسه بما توفّره له الطبيعة، بل هو لاستمرار حياته بحاجة الى التعاون مع عدد من أبناء نوعه ومساعدتهم، بحيث يقوم كل فرد من أفراد ذلك المجتمع بتوفير شطر من لوازم الحياة وضروراتها. فمثلاً يعمل أحدهم نجاراً والآخر حدّاداً، وبعضهم بالغزل و بعضهم بالنسيج، وآخرون بالخياطة وطائفة اخرى بالزراعة و الفلاحة وآخرون بالملاحة، كيما تتحرك دواليب الحياة، ويستمر العيش لفترة برفاهية ولو مؤقّتة. ومن هنا يقولون عن الانسان أنه: مدنّي بالطبع، و يسمّون موضع تجمّعه بالمدينة.

وقد أودع الله تعالى في ذات الانسان، نظراً لمصلحة نظام العالم وبقاء النوع الانساني، قوّتين دافعتين أحدهما الشهوة و الاخرى الغضب، لكي يجذب بالقوة الاولى لنفسه مايلائمها من اللذّات والخيرات، ويدفع بالقوة الثانية كل ما يؤذيه ويزاحم ميوله الطبيعية، ولكي يبقى بهاتين

القوتين جسم الانسان سوتاً سالماً. فبدهي أن كل فرد من أفراد الانسان وبدافع هاتين القوتين الشهوة والغضب، حيث هو يسعى لجلب المنافع ودفع المضار لنفسه، سوف يصطدم في المجتمع بمنافع ومضار الأشخاص الآخرين، ويحدث على أثر ذلك النزاع والفساد. ومن هنا تثبت حاجة البشر الى قانون يجري بينهم بالعدل فيحدّد منافع الأفراد بحدود معيّنة ويمنعه عن التعدي عن حدّه، كيما لاتحدث الفتنة والفساد والهرج والفوضى.

وليس معنى العدل: المساواة واشتراك الناس في المنافع والمصالح والخيرات واللذّات؛ ذلك أن اشتراك الأجنبيّ في حصيلة يد غيره هو عين الظلم والجور ،وكذلك التساوي في الرتبة والمقام ووسائل الراحة بين العالم و البروفيسور وبين الكنّاس والزّبال، ووزير الثقافة والارشاد أو المعارف أو التربية أو العلوم مع الجاهل غير المثقف، قبيح ومذموم. بل ان المعنى الصحيح للعدل هو ـكما قالوا: وضع الشيء في موضعهـأي أن نعمل كل عمل بمحلّه وأن نعرف كل أحد بموقعه وموضعه ومن هنا يُعلم أن معنى العدل يختلف بالنسبة الى الحقوق والشؤون والأحوال والاشخاص، بحسب اختلاف علله وموجباته ومتقضياته. وطبيعيّ أنّ من يتمكن من أن يضع قانوناً عادلاً بهذا المعنى هو العالم بجميع الجهات والخصوصيّات لموارد الحقوق، والمحيط بكل الكليات والجزئيات من المصالح والمفاسد في الأمور، والعالم بكل الأضرار والمنافع والخيرات والشرور في الأشياء. وبدهي أننا لا نعرف أحداً الا الله بهذه الرتبة من العلم و الاحاطة «وهو بكل شيء عليم» إذن فالتقنين للانسان يرجع الى الله.

ولكن، حيث أن الله تعالى منزّه بذاته القدسية عن التجسّم والتصور بصورة البشر، ورؤيته بعين الانسان، والتحدّث بالكلام الآدمي مع أفرادهم، لذلك يجب أن يكون هنالك مَن هو من أفراد البشر ذوجانب غيبيّ كي يكون مسانخاً مجانساً للملائكة قادراً على أن يتلقى العلوم والمعارف عن الله بواسطتهم، لكي يأخذ تلك القوانين العادلة من المبدأ الأعلى، ويجب أن يكون كذلك مسانخاً مجانساًللبشر ليتمكّن من تعليمهم وارشادهم اليها، ويجب أن تتضمن تلك

القوانين للمتمردين والمتخلّفين عقوبات في الدنيا و الآخرة، لكي يُراعى تنفيذ ذلك القانون سراً وعلانية. ويقال لهذا الانسان: النبيّ والرسول.

وطبيعيّ أن معرفة هذا الانسان لاتكون في متناول العموم، ذلك أنّ له ـ كما مرّ ـ رتبةً باطنية ومقاماً معنوياً مقرّباً الى الله تعالى، بحيث لا يعرفه الا الله، إذن

فلا يعرفه أحد الا بعلامة خاصة، وكما أن مقتضى العقل و العقلاء هو أنهم لا يذعنون بدعوى المدعي من دون دليل وبرهان، ولايعرفون أي ضابط أو مسؤول بدون علامة مميّزة.. و تلك العلامة الخاصة عبارة عن المعجزة، كما سيأتي تفصيله.

البرهان الثاني: للانسان ـ كما مرّ ـ قوتان دافعتان حيوانيّتان هما عبارة عن الشهوة والغضب، ونقول حيوانيتان إذ لافرق في أصل هاتين القوتين بين الانسان و لحيوان، ولذلك يقال لمجموع القوتين أيضاً: القوة الحيوانيه وهناك في الانسان قوة اخرى تخصّه فتميّزه عن سائر الحيوانات، وهي قوة اليها ترجع العلوم والمعارف، والتمييز بين الخير والشر، وبها ادراك الحسن والقبح، ورؤية العواقب والعمل بالعلم.

و إن صنع الله و خلقه انما هو عن حكمة واتقان ولغايات و أغراض تترتب على ذلك وبذلك نحن حينما نستطلع ونتدبّر في الأمر نرى لكل من هاتين القوّتين الحيوانية والانسانية ثمرة مهمة، وأن كليهما قد اوجدتا واودعتا في الانسان لغاية مقصودة مشتركة. فثمرة قوة الحيوانية صيانة الجسم و حفظ البدن و من ثم استمرار الحياة الدنيا، وثمرة القوةالانسانية حصول المعارف العلمية والأخلاق العملية والروحانية في الدنيا، ولدخول الانسان في سلك المقرّبين الى الله تعالى عند الرجوع اليه فالسعادة الأبدية في الآخرة و عليه فثمرة القوة الاولى لذات ونعم معيّنة محدودة وفانية، وثمرة القوة الثانية سعادة أبدية غير محدودة ولامتناهية. و بما أن الأغراض في أفعال الحق يجب أن تكون اموراً ثابتةباقية، لذلك فالغاية بالأصالة من هاتين القوّتين هي ذلك اللامر الباقي، أما تلك الثمرة المترتبة على القوة الاولى الفانية لابد أن تكون عرضياً تابعاً، وعليه

فيجب أن تكون الثمرة للقوة الاولى تعابة للقوة الثانية، والقوة الاولى تابعة ومنقادة للقوة الثانية. بينما نجد القوة الاولى الحيوانية معاندة طبعاً للقوة الثانية العاقلة، وهما دائماًفي خصام وعناد ونزاع، كما قال جلال الدين المثنوي الرومي شعراً:

«الروح تشتاق العلى في هَجْرها والجسم قد ألِفَ الأسافلَ لاَبِيل
نحو السماتهتّم روحي ترتقى والجسم أنشبت المخالب لاتفل

***

تهتمّ روحي أن تسابق هيكلي تعِسَت اذا تَبعت لجسمي والبدن
فهما كمجنون وناقته التي كانت تجاذ به لترجع للوطن

***

قد جَنَّ مجنونٌ لليلاه هويّ والى الفصيل هَيام ناقته انتحى
فلئن تغافل لحظة عنها عدَتْ نحو الفصيل تعود بل نحو الهوى»[1].

فالشهوة تطلب مايلائمها من لذّاتها ومن دون أن تهتمّ أبداً بحكم العقل وتجويزه وتصويبه، وكذلك القوة الغضبية كل همّهما في دفع مايزاحمها من منافياتها من دون أن تتصوّر ماذا يحكم العقل؟، والقوة العقلية كل همّها في دفع رذائل الأخلاق والابتعاد عن قبائح الأعمال وتحصيل الملكات الفاضلة والقيام بالأعمال الصالحة والتكامل في المعارف الآلهية، وبالتالي فان هدفها

---

(١) الأصل بالفارسية:

جان زهجر عرش أندر فافه‌ای تن زعشق خار بن جون ناقه‌ای
جان گشاید سوی بالا بال‌ها نین زده اندر زمین چنگال‌ها
این دو همره یکدگر را راهزن گُمره آن جان کو فرمائد زَنَن
همچو مجنونند وجون ناقه‌اش یقین میکشد آن پیش وآن واپس به کین
میل مجنون پیش آن لیلی روان میل ناقه پس پی کرّه دوان
یک دم ار مجنون زخود غافل شدی ناقه گردیدی وَواپس آمدی

وتمربب الشعر للمعرّب.

الأصليّ انّما هو تحصيل وسائل التقرّب الى جوار الله ربّ العالمين، بل هي تنفر من الامور الشهوية ومقتضيات القوة الغضبية بالكلية، وبكلمة فانها تنفر من كلّ مايشغلها ويعوقها عن هدفها الأسمى وهو التقرّب الى الله تعالى[1].

وعليه فلو أراد أحد أن يفيد من احدى هاتين القوتين المتضادتين بصورة وافية وبشكل كامل، فانه سوف يحرم من القوة الثانية، فمثلاً لو أراد أحد أن يعمل بالقوة العقلية فقط و لا يعمل وفق قوّتيه الاخريين الشهوة والغضب، سقط جسمه عن العمل بل خرجت روحه من بدنه، ثم لا يصل الى ذلك الهدف الأسمى. وكذلك العكس، فإنه لو أهمل متقضى القوة العقلية وانما يعمل بمقتضى القوّتين الاخريين الشهوة والغضب، حُرم من السعادة الأبدية بجوار الله تعالى.

إذن، و بمقتضى هذه المقدمة يجب على كل انسان أن يتعرف على طريق التعديل بين هاتين القوتين المتضادتين، والسبيل الى تسخير القوّتين الحيوانيتين تحت تصرّف القوة العاقلة، فيسلك سبيل الاعتدال لكي لا يُحرم من الوصول الى الغرض والغاية من خلقته ألا وهي تلك السعادة الأبدية.

وبدهي أن المعرفة بالطريق العادل تتوقف على المعرفة التامة بأن أي مقدار من العمل بمقتضى الشهوة والغضب يعوق عن سلوك سبيل الوصول الى الله تعالى وينافيه، و أي مقدار من العمل بهما لا يعوق عنه و لا يمنع. وطبيعي أن ليس لأحد هذه المعرفة التامة سوى الله تعالى.

وحيث لا يمكن أن يتجسّد الله أو يتصور بذاته المقدسة لهداية البشر وارشاده الى الطريق العادل، وتجنيبه عن الافراط أو التفريط في ذلك.. كان واجباً على الله أن يختار من بين البشر أشخاصاً معيّنين حسب قابليتهم واستعدادهم، فيأخذ بأيديهم ويهديهم كلّ مراتب السلوك

---

(١) و قد يناقش البعض: بأننا لا نجد ذلك في أنفسنا؟! ونجيبهم بأنه من الممكن أن يتخصص الانسان في فرع من الفروع العلمية بممارسته و التدريب فيه ولكنه يكون جاهلاً بسائر فروع العلوم لعدم التفاته اليها، فكذلك من لم يعرف نفسه و لربّه قد لا يجد في نفسه ما فلناه الا بعد الالتفات والتأمل والتدبّر.

والوصول اليه، فيكونوا خلفاءه في المجتمع البشري، ويقوموا بينهم بالغاية من خلقتهم.

ولهذا نقول: إن الأنبياء انما بعُثوا لبيان سبيل التعديل بين هاتين القوتين، وحينما ننظر الى روح الشرائع السماوية نجدها انما هي أيضاً للحيلولة بين الانسان وبين الافراط أو التفريط في مقتضيات هذه القوى المتناقضة، وذلك لكي لا يلزم من وجود أية قوة من هذه القوى نقيض الغرض منها، بل يفيد الانسان من فوائد كل واحدة منها. فشهوة الطعام مثلاً لحفظ البدن عن الانحلال، والشهوة الجنسية لبقاء الانسان وعدم انقطاع نسله، ولوكانت القوة الاولى حرة مختارة لاستطالت على أموال الآخرين ولزم من ذلك الظلم والفوضى، وكذلك لوكانت الشهوة الجنسية حرة مختارة لم يبق لأحد اعتماد على أحد، فجاءت الشرائع المقدسة وقررت لكل ذلك موازين و قوانين وحدود من أجل أن لا يعارض الافادة من هاتين القوتين القوة العقلية.

والقوة العقلية كذلك لو تحكّمت كلياً لزاحمت الشهوة والغضب و بطل النظام. فجاءت الشرائع المقدسة لتجعل احكام العقل كذلك تحت موازين وضوابط لكي لاتمنع من العمل بمقتضيات القوى الحيوانية رأساً.

وتوصّلنا من هذه المقدمة الى أنه: من الواجب صيانة الجسم بفصل هاتين القوتين الغضب والشهوة، مع رعاية أحكام الله العادلة فيها، وذلك لكي يسعى الانسان بجسمه هذا في سبيل اكتساب العلوم والمعارف، والأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة، فيصل بنفسه وسعيه الحثيث الى غاية الكمال الممكن له، ويفوز بالسعادة الأبدية يوم الرجوع الى الله تعالى.

والذي يستطيع في تشريع القانون أن يكون ناظراً الى سعادة الانسان في الدنيا والآخرة، فيضع القانون الشامل للسعادة في الدارين، انما هو من طوى جميع درجات الصعود الى الله، فيكون واصلاً الى المقامات المعنوية عندالله، مكتشفاً لعراقيل السبيل وأشواكه، مفوّضاً اليه أسباب السعادة الأبدية والتقرب الى الله تعالى، لكي يتمكن بهدايته وارشاده من أن يصل بهذا المجتمع الحيواني الى أعلى مراتب الانسانية.

وبدهيّ أننا لا يمكن أن نعرف أحداً بهذه الرتبة من المقام المعنوي الا بتعريف من الله تعالى، ولاسبيل أفضل وأبين من صدور المعجزات على يديه. وعليه فالمعجزة على يد النبيّ شهادة من الله بحقه وصدقه.

هل يكفي العقل للتشريع؟

وهنا يقول بعض الجاهلين: بعد أن وهب الله لنا العقول من الممكن أن نكتفي بها للتعديل بين القوى المتناقضة، ولتسخير القوى الحيوانية للعقل. ويمكننا أن نكتفي بتشريعات العقلاء لانتظام المجتمعات، وأن نفيد من القوى التنفيذية البوليسية لردع الجُهال وقمع المتمردين. فلاحاجة للنبوة.

وفي الجواب نقول: يبدو أن هذا القائل يقول ـ أولاً ـ بامكان صدور قانون عادل و شامل من قبل العقلاء، ـ وثانياً . بأن طريق التعديل بين القوى المتناقضة، وتسخير القوى الحيوانية للقوة العقلانية غير منحصر بالتعليم من قِبل الله تعالى، بل للعقل أن يكتشف ذلك. فعلينا أن نجيب على الأمرين:

فأولاً ـ نقول : لو لم يكن هناك بين البشر رجل مختار من قِبل الله موصوفاً بما مرّ، هادياً وقائداً، لم يتنجّز شيء مما ذُكر؛ ذلك أن معنى العدل ـ كما مرّ ـ يختلف باختلاف حقوق الناس وشؤونهم وأحوالهم، وانما يمكن وضع القانون الجامع و العادل لمن كان محيطاً بجميع المصالح و المفاسد، وعالماً بحقائق الحقوق وكل شؤون الأفراد، والنفع والضرر الكامن فيكل الأشياء. وبدهي أن الانسان الاعتيادي مهماكان مهذّباً وكاملاً فانه لايزال ذا عقل محدود، ويقصر ادراكه عن الاحاطة بجميع المصالح والمفاسد وكل المنافع والمضار في الاشياء، وعليه فانّ القانون الانساني لا يتّصف بالعدل بصورة كلية، ولايكون على الوجه الأحسن والأصلح. كما نشاهد أن القوانين الاجتماعية من الحقوقية و الاقتصادية و السياسية يمضي عليها القرون المديدة

وهي قيد الدرس والبحث لدى العلماً والعقلاء في العالَم، ولا يزالون يطلّعون على نواقص فيها و نقائص، ولذلك فهم لا يزالون يغيّرون فيها و يبدّلون. وليس هذا الامن عدم علمهم بكل صلاح وفساد في الأشياء، وعدم احاطتهم بحقائق الحقوق ومختلف شؤون أفراد البشر.

وبالنسبة للحديث الثاني عن امكانية اكتشاف طريق التعديل بين القوى المضادة وتسخير القوى الحيوانية للعقل.. نقول: قلّما نجد في المجتمع البشري عقلاً سليماً متمكّنا من تسخير القوى الحيوانية للعقل بالكلية، كما نشاهد ذلك في عصرنا هذا عياناً، ولا يرينا التاريخ ذلك الا اللهم في كل قرن واحداً أو اثنين. فمثلاً نجد بين مشركي قريش في مكة جعفر بن أبي طالب(ع) كان لا يشرب الخمر قبل ظهور رسول الاسلام ونشر حرمة شربه، ولما سأله الرسول عن ذلك قال: «والثانية: أني ما شربت خمراً قط، لأني علمت أني إذا شربتها زال عقلي»[1] وقيل مثل ذلك في عبدالله بن سلام من يهود المدينة وما أقل هذه النماذج من العقول السليمة في كل عصر و مصر بين عموم المجتمعات، وأما عقول عامة الناس فهي أقصر من ذلك إما بالذات أو بالعرَض أقصر من أن تدرك أضرار الأشياء ومنافعها ومحاسن الأفعال ومكارمها، وعلى افتراض ادراكها فهي في مقام العمل ومعارضة الشهوة والغضب غالباً ممّا تنهزم أمام هذه القوى الحيوانية.

هذا وقد قلنا سابقاً أن التعديل بين القوى المضادة بحيث لا تنافي التقرب الى الله والعروج نحوه والوصول اليه ليس من عمل العقل والعلم فحسب، بل هو موقوف على المعرفة التامة بمراتب قربه سبحانه حتى يعلم بعدم المنافاة بين التقرب اليه و بين المدار المأذون فيه من العمل بمقتضيات القوى الحيوانية. فالعقل السليم يحكم مثلاً بقبح شرب السكر، السكر فعلاً، كما نعلم عن بعض كبار الرجال في العالَم والتاريخ أنهم كانوا يمتنعون عنه وان لم تكن لهم عقيدة رادعة، الا أن العقل انما يحكم بقبحه والامتناع عنه بما يوجب السكر، أما فيما لا يسكر منه فان عقل البشر الاعتيادي لا يتعقل فساده وتعويقه عن سلوك سبيل الحق اليه سبحانه. وكذلك يدرك

---

(١) كتاب من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٨٣ ب ١٧٦ ح ٢٣.

العقل مثلاً حسن النكاح المشروع وقبح الزنا والسفاح اللامشروع، بصورة كلية، ولكنه لا يدرك السرّ في تحريم نكاح المحرمات بالنسب أو الرضاع أو المصاهرة. وعليه فلا يمكن أن ندرك كلّ أبعاد الصلاح والفساد بمحض عقول العباد، ومالا يتنافى من مقتضيات القوى الحيوانية مع التقرب والوصول اليه سبحانه.

إذن: فلابدّ أن يكون واضع قانون الحضارة الانسانية بصيراً بشؤون النشأتين (الدنيا والآخرة) لكي يُراعي في وضعه للقوانين وتشريعه للشرائع والأحكام والسنن امكانية الفوز بالفلاح والنجاح في العالَمين وسعادة النشأتين، فيضع قوانين تجمع بين الفوزين. ولا أحد يعلم بجميع موجبات السعادة في العالَمين الا الله الخالق لما سواه والعالم به. والوسيط بينه و بين خلقه للتربية والتعليم والارشاد والقيادة هم الأنبياء والرسل.

وعليه فيجب أن يكون هذا المشرّع أي النبيّ شخصاً بارزاً له ارتباط بما وراء الطبيعة الملموسة يمكنه الاطلاع على الحقائق والمصالح والنفع والضرر المكنون في الأشياء. وليس لذلك الا ذوو النفوس المطمئنة والقوى القدسية بموهبة من الله تعالى. وذلك من أجل أن يتمكن هؤلاء من تشكيل المدينة الفاضلة من حيث القوانين، فيقود العباد باحكام الشريعة الى طرق الحق، ويكون هو الوسيط والوسيلة لمعرفتهم بربهم، فيصل بكمالهم من القوة والامكان الى الفعل والوقوع، فيوفّر لهم بذلك الراحة والهناء في هذه النشأة والسعادة الأبدية في العوالم الاخرى.

وطبيعي أن التعرّف على هكذا انسان ليس مما يفهمه العموم؛ ذلك أنّ له ـ كما مرّ ـ رتبة باطنية ومقاماً معنوياً لا يعلم به الا هو وربّه، فلا يعرفه أحد الا بعلامة خاصة. كما هو مقتضى العقل والعقلاء أن لا يقبلوا دعوى أحد بلا دليل وتلك العلامة الخاصة هي المعجزة كما سيأتي تفصيله.

هذا ـ باختصار ـ هو وجه حاجة البشرية الى النبيّ والقانون الآلهي.

***

فماذا لو كانت الرسالة بلارسول؟

الم يكن من الممكن أن يكتب لكل عصر ومصر دستور ونظام حسب ذلك العصر والمصر، فيلقى على الناس أو بواسطة الملائكة؟

والجواب:

لبعثة الانبياء والرسل فائدتان: احداهما: ابلاغ الاحكام وتشريع القوانين. والاخرى: «ليزكيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة». وبتعبير آخر: فائدة بعثة الأنبياء اثنتان: التربية والتعليم. فلوكان من الممكن الاكتفاء ـ للفائدة الاولى ـ بالابلاغ بدون واسطة أو بواسطة الملائكة، لكن ـ بالنسبة للفائدة الثانية ـ ما لم يكن الوسيط «من أنفسهم» «ياكل للطعام ويمشي في الأسواق» فانه لايتمكن من أن يربّيهم فيصل بهم من نقائص الرذائل الشيطانية و البهيمية والسبعية الى أوج الفاضائل الانسانية بل الملائكية.

فما معنى الخليفة والامام؟

لقد أنزل الله القرآن وأبلغ القانون بواسطة رسوله النبيّ، وقال عن القرآن الكريم فيه: «انا نحن نزّلنا الذكر وانا له لحافظون»[1] فالمسؤول عن ذلك من قِبله هو الامام لكي لا تناله يد التبديل والتحريف، وهو المبيّن لمجمله لكي لا يبقى الناس في شبهة من اجماله. وهو أيضاً مسؤول عن تربية مجتمع الأمة للرقيّ والكمال فلا يضيع أجر من أحسن عملاً من طالبي الكمال والمستعدّين له.

فقد عُلم أن الهدف من البعثة لم يكن الابلاغ و التعليم فقط بل غرضا: التربية والتعليم. فبالنسبة الى التربية لابد من المربّي بعد رحلة الرسول و ما بقي بشر على وجه الأرض، ولا غنيّ عن هذه

---

(١) الحجر: ٩.

الغاية. و أما بالنسبة الى الهدف الأول أي الابلاغ والتعليم، فمن الممكن أن تنقطع النبوّة للاكتفاء بالابلاغ والتعليم الحاصل بالنبيّ، ولكن لابدّ من خليفة له للحفظ و البيان والتفسير، وعلى الرسول أن يُعرّف به. ولهذا نحن نعتقد بأنه لابدّ من تعيين الامام من قِبل الله بنصّ رسول الله.

ولماذا؟

فما وجه ضرورة تعيين الامام من قِبل الله بنصّ رسول الله؟

نقول: إن الامامة تقتضي أن تكون للامام رتبة فائقة في العلم والعمل به، ففي العلم لابدّ أن يكون بمستوى تفصيل مجمل القانون وحلّ مشكلاته وتوضيحها بالضرورة، وبحيث لا يحتمل فيه الجهل والخطأ والسهو. وفي العمل: لابدّأن يكون من حيث الاعتماد عليه بحيث لا يحتمل فيه القصور أو التقصير أو سوء الآراء والأهواء في حفظ الشريعة عن التغيير والتحريف، وكذلك في التربية والتعليم. وبكلمة: فان المسؤول عن التربية والتعليم والقيادة فيهما لابدّأن يكون على درجة الكمال بحيث لا يحتمل فيمن يتعلم منه المساوي له فضلاً عن الأفضل الاكمل. وطبيعيّ أن احراز هذه الرتبة الفائقة ليس في متناول أفراد الأمة، وعليه فاحراز هاتين الرتبتين الفائقتين للامام و تعيينه لهذين المقامين انما هو في شأن الله ورسوله. والتعريف به يكون على عهدة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلماذا الحاجة لبيان القرآن؟

و قد يوسوس الوسواس الخنّاس في صدور بعض الناس: لماذا يكون في القرآن الكريم أو سنن الرسول العظيم محكم ومتشابه، وعام وخاص، ومطلق ومقيّد، ومجمل ومبيّن، وظاهر ومأوّل، ورخصة وعزيمة، وناسخ ومنسوخ.. ولايكون مبيّنا بحيث يفيد منه جميع الناس بلا التباس، لكي لا يحتاج الى تبيين المفسّر العالم؟.

فنقول: أولاً ـ هناك حكمة كبرى في هذا المقدار من الاجمال في المقال، وهي: أن مقتضى النظام الاكمل في العالم أن يكون بين الناس ذكيّ ذو قريحة وقّادة، و غبيّ ذو قريحة غير ذكية، وانما يظهر قدر العلم في العلماء وشرفهم وامتيازهم عن غيرهم بتحملهم الشقة في تحصيل العلوم والمعارف، فلوكانت كلمات القرآن الكريم وسائر ألفاظ احكام الاسلام ساذجة وبسيطة وقريبة الى أفهام العوام من الناس لكان ذلك مخالفاً لوضع النظام الاكمل وما فيه من أسرار يعلمها الله. وإن اجمال القرآن الكريم لمما يدعو ويبعث على تحصيل العلوم، بالاضافة الى ماورد فيه من الترغيب في طلب العلم.

وثانياً: لم يكن بالامكان أن يعلّم الله بالقرآن جميع علومه بشكل كامل، ذلك أن العلوم والمعارف لاتنتهي، والزمن محدود وقوى المتعلمين متناهية، فكيف يمكن حصر اللامتناهي وضبطه في المتناهي؟!

ها هم العلماء منذ قرون مديدة يسعون حثيثاً الى اكتشاف أسرار هذه الكرة الأرضية ورموزها وطبائعها وقواها، ولازالوا يعترفون بالقصور عن استقصائها بصورة تامة، بل لايُظن أنهم ينتهون من ذلك في يوم من الأيام، فكيف بسائر الكرات اللامتناهية؟!

فلو أغمضنا النظر عن العلوم والمعارف الآلهية وعن معرفة حقائق الاشياء كما هي مما لايتناهي وهو من خصائص الأنبياء والأئمة عليهم السلام كما سيأتي، وقصرنا النظر على أصول الدين وفروعه وقوانينه فالمجال كان أيضاً لايسع لتعليم النبيّ صلى الله عليه وآله أصحابه بجميع أجزائها. لاسيما اذا لاحظنا أنه في هذه المدة القصيرة ٢٣ عاماً علّم أصحابه الثلاثين جزءاً من القرآن الكريم، وقدم لهم من النصائح والمواعظ لتهذيب نفوسهم، وعاشرهم بالمعروف، واستوفى كثيراً من العادات من الفرائض والمستحبات، وغزا وأمر بأكثر من سبعين غزوة وسريّة.. وهذه الأعمال لايتوقع القيام بها في هذه المدة القصيرة من الناس الاعتياديين، فضلاً عن أن يكون من المتوقع منه صلى الله عليه وآله أن يكون قد علّم أصحابه جميع فروض مسائل

الحلال والحرام وفروع الأحكام في جميع أبواب الفقه من العبادات والمعاملات والايقاعات والاحكام.. بينما لكتاب الصلاة من بين ستين كتاباً في الفقه أربعة الآف مسألة. والنبيّ و ان كان انساناً غيبيّاً اعجازياً ولكن المتعملين لم يكونوا كذلك كي يتمكنوا من الاقتباس من أنوار علومه بصورة اعجازية خارقة.

اذن، كان عليه أن يبيّن كليات الأحكام ورؤوس العناوين بمقدار ما يسعه عهده واستعداد أصحابه، ويختار اكثرهم استعداداً فيربيه تربية خاصة توصله في العلم والعمل الى ما يقرب من مقامه هو صلى الله عليه وآله، فيخلفه في أهداله التي بعث هو من أجلها، ويكون بعد رحيله مرجعاً لامة من بعده في مشاكلها ومعضلاتها، مأموناً من الجهل والسهو والخطأ، ومن القصور والتقصير في تربية المستعدين من امته، معصوماً عن الميل الى اللذات والشهوات.

وقد قال الله سبحانه في كتابه: «ما فرّطنا في الكتاب من شيء»[1] و «الكتاب تبياناً لكل شيء»[2] و «اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً»[3] فالرسول لم يقصّر في شيء، ولكن النقص والقصور من الناس من حيث عدم التمكن من الاقتباس، فكان على الله ـ لطفاً وحكمة ـ أن يختار من الأمة من يمنحه استعداداً قوياً خارقاً بحيث يستوعب كل ذلك، لكي لا يحرم الناس من الهادي عند حاجتها وضرورتهم «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»[4] والشيعة تسمي ذلك الانسان اماماً، ويتعهد بتعيينه والتعريف به الرسول من قبل ربّه.

***

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) النمل: ٨٩.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) النساء: ١٦٥.

الا يكفي المجتهد العادل عن الامام المعصوم؟

الم يكن من الممكن بعد بيان النبيّ لكليّات القوانين ورؤوس العناوين و ضرب الأمثلة لها، أن يعوّل لبيان سائر اجزائها على اجتهاد الصحابة وعدالتهم عوضاً عن اعتبار العصمة في الامامة؟

نقول: كلا، ذلك أن الاجتهاد غير مأمون عن الخطأ والاشتباه، و العدالة غير مأمونة عن الزلة والعثرة والوقوع في المعاصي.

هذا ما يدل عليه الدليل والبرهان العقلي على ضرورة وجود الامام بعد النبيّ موصوفاً بالأوصاف المذكورة، وضرورة تعيينه والتعريف به. و هو كلام متين لايُظن بالمنصف أن يبقى في شك منه بعد التأمل فيه. ولتأييد حكم العقل و تأكيده نأتي هنا ببعض الآيات الدالة على ذلك:

تأييد العقل بالنقل:

قال الله سبحانه: **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم**[1]. ووجه دلالة هذه الأية على الدعوى هو: أن صحة الحكم المطلق بالطاعة المطلقة لاولى الأمر تتوقف على عصمتهم في العلم والعمل، وإلاّ فلوكان يحتمل فيهم الجهل والنسيان والخطأ والسهو والانقياد للشهوة والغضب، فلا يصح وضع طاعته الى جنب الطاعة المطلقة لله ولرسوله، إذ لافرق حينئذٍ بين هذه الآية وبين أن يقول: أطيعوا الله و أطيعوا الرسول وأولياء الشيطان، و قد نهى القرآن الكريم عن طاعة الشيطان في مواضع كثيرة. فهل يمكن لعاقل أن يناقض ويتهافت هكذا؟! فضلاً عن الله الحكيم والنبيّ الكريم، سبحان الله عن مثل هذا التناقض والتهافت[2].

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) هذا هو المعنى المعروف في الشيعة الامامية للآية، ولكن لايعدمون من بينهم من يقول بقول أهل السنة في الآية أنها مخصّصة لبيّاً أو نصباً بتلك الآيات الناهية عن طاعة الشيطان وأولياته، وبمعنى قوله (ص): لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولهذا فهم يرون أن الآية تأمر بطاعة الاولياء الشرعيين معصومين و غير معصومين عدول ـ الشعرب.

الآية الثانية: «الّم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين»[1].

فالآية قد نفت الريب عن الكتاب الكريم بنفي الجنس نفياً مطلقاً، وللريب فردان: ريبٌ دلاليٌ، وريب سندي. والريب المطلق يشملهما معاً.

أما نفي الريب في انتساب القرآن الى الله تعالى؛ فبعد ثبوت اعجاز القرآن الكريم وكذلك سائر معجزات النبيّ العظيم بالتواتر لايبقى أيّ ريب او شكّ في أن القرآن من كلام الله تعالى.

و أما الريب الدلالي: فمع الاختلاف الكثير بين المفسّرين في تفسير الآيات كيف يمكننا أن نقطع بدلالة الآيات بلا ريب؟ مع عدم وجود امام معصوم راسخ في العلم و منصوص عليه من الله ورسوله. ولاسيما بالنسبة الى متشابهات القرآن و قد عجزّنا الله عن فهمها بنصّ قوله سبحانه: «و لايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم»[2].

الآية الثالثة:

«قل: لاأسألكم عليه أجراً الا المودّة في القربى»[3].

بيان الدعوى: بما أن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان في سيره الى الله تعالى منقطعاً عن الالتفات الى هذه الحياة، ولم تكن له في أعماله وأقواله أيّ غاية سوى رضاه وأداء حق الطاعة والعبودية.. لذلك ليس من المعقول في طلبه أجراً لرسالة أن يطلب مودة قرباه مطلقاً الا اللهم لوكان قرباه المقصود دون مرضيين لله ذاتاً وصفاتاً، علماً وعملاً، حالاً ومثالاً، لتكون مودّتهم مودّة لله تعالى. فايجاب مودّتهم بصورة مطلقة دليل على عصمتهم عن المعاصي المكروهة عند الله تعالى على كل حال؛ وإلا للزم أن يكون الرسول الكريم قد جعل هوى نفسه

---

(١) سورة البقرة: ٢.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) الشورى: ٢٣.

أجراً لرسالته الآلهية! حاشاه ثم حاشاه، وإلاّ لكان لابّد من أن يقيّد مودّتهم بحال طاعتهم وعبوديتهم للحق سبحانه لا على أيّ حال.

إذن: فصدق اطلاق ظاهر هذه الآية يتوقف على وجود اشخاص من قرباه معصومين علماً وعملاً، ومحبوبين على كل حال، قد عيّنهم النبيّ نفسه، فقطعاً ليس المراد من الآية كلهم اجمعين، والبعض غير المعيّن لاينسجم مع التكليف العيني والتعييني. وهذا هو دعوى الشيعة بأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد عيّنهم بنص صريح.

و يشهد بذلك ماورد في القرآن أيضاً: «قل: ما سألتكم من أجر فهو لكم»[1]. فالمُفاد من الآية هو أن أجر رسالتي التي هي مودة قرباي عبادة يعود ثوابها اليكم أنفسكم. ومالم يكن الأمر لله فلاعبادة فيه، وكون مودّتهم عبادة تتقيّد بطهارتهم وعصمتهم كما مرّ بيانه.

وقد سطّرنا بيان هذه الآيات لتأييد دليل العقول ولكي نقف على رؤوس عناوين الأدلةفي ذلك، وإلا فكثيرة نماذج هذا الاسلوب من الاستدلال بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، كقوله سبحانه: «فسوف يأت الله بقوم يحبّهم ويحبّونه»[2]. وآية الاكمال: «اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي»[3]. وقد ذكر المرحوم العلاّمة الحلي «قدس سره» ألفاً ونيفاً وثلاثين دليلاً من هذا القبيل في كتابه «الألفين في امامةأمير المؤمنين» وعلى وجوب وجود امام في كل عصر وزمان. ولايسعنا هنا الا الايجاز، ولذلك فنحن نقتصر هنا على هذا المقدار، وفيه كفاية للمنصفين. ومن أراد الاستزادة فليراجع «الألفين» وسواه من المؤلّفات في بحث الامامة.

***

(١) سبأ: ٤٧.

(٢) المائدة: ٥٤.

(٣) المائدة: ٣.

برهان ومطلبان:

وبعد ثبوت وجوب وجود هكذا امام لكل أمة، علينا أن نلتفت الى مطلبين آخرين كما يلي:

أحدهما: أن أيّ امام انما يكون في مراتب الكمال تابعاً وفرعاً عن النبيّ و الرسول متبوعه، بمعنى أن النبيّ كالشمس والامام كشعاع له. وعليه فأئمة أهل البيت عليهم السلام وهم تابعون في الفضل والكمال للنبيّ خاتم الأنبياء، لابد أن يكونوا أفضل واكمل من جميع أنبياء السلف، كما أن النبيّ كان كذلك بمقتضى كونه خاتم الانبياء والمرسلين.

و المطلب الآخر: أنه لابدّ أن يكون الامام المعصوم المعين في كل شريعة ـ حسب سعة تلك الشريعة وامتدادها ـ باقياً ببقاء تلك الشريعة و ما لم تُنسخ، وعليه فلابدّ أن يكون في هذه الشريعة الخاتمة والتي هي باقية حتى القيامة، ولكل عصر وعهد وزمان، امام معروف بشخصه واسمه وحسبه ونسبه، منصوصاً عليه بنص النبيّ أوالوصيّ.

و قد عُلم أن لابدّ للنبيّ من جنبتين: احداهما: الابلاغ والتعليم، والاخرى: التربية والتزكية. فكذلك الوصيّ والامام. «ولا تخلوا الأرض من حجة لله» فعلى الرسول أن يوصي ويعهد بالخلافة والولاية الى وصيّه وخليفته من بعده.

***

و الى هنا تحقّق بصورة ساذجة وبسيطة وبدون أيّة عقدة وشبهة: أنه لابدّ من أن يتعيّن الامام من قبل الرسول، وعلى طالبي نصوصه عليه أن يراجعوا كتب الامامية في العقائد، فقد اثبتوا فيها بالبداهة والضرورة من تعيّن من قِبله صلى اللّه عليه وآله باسمه ورسمه وحسبه ونسبه حتى قيام القيامة. وهنا نعطف الحديث الى علائم الامام.

***

الآية المعجزة وحقيقتها:

المعجزة عبارة عن أمر خارق للعادات الجارية في الموجودات القائمة، ولا يعني ايجاد أمر مُحال ممتنع كما توهّموا.

و قد جرت سنّة الله في تكوّن الأشياء والأمور الحادثة أن تكون باحدى أسباب ثلاثة: فاما بسبب ارضيّ فقط، كالحرارة بالنار، واخماد النار بالماء. أو بمجرّد سبب سماوي، كالحركة الدورية والوضعيّة للفلك وحصول الفصول بها وكذلك الخسوف والكسوف. أو بمركبٍّ من السببين الأرضي والسماوي. كحدوث البرق والرعد ونزول الأمطار. فالمعجزة أن تحدث الحرارة مثلاً من دون نار، وأن تخمد النار من دون ماء، وأن تهبط الأمطار بلا أسباب أرضية وسماوية، أو أن يدرك البشر العلوم الانسانية من دون معلم، الى غير ذلك من هذه الأعمال. وذلك ليس من المُحال، فان المُحال والممتنع مالا يتحقّق وجوده أبداً، بل لاتتعلق به حتى ارادة الله تعالى، كأن يجتمع السواد و البياض في محل واحد وزمان واحد، وأن يكون الشيء موجوداً ومعدوماً فعلاً، هذا ما يقال له المُحال، أي المُحوّل على العدم. أما ما تعارف وجوده بأسباب اعتيادية فلا مانع من أن تتحقّق من دون سبب ظاهر و بمجرّد ارادة ذي ارادة نفسية قدسية قوية.

وكمثال على تأثير الارادة والخيال في الكونيات: أنت انّما تريد شرب شيء حامض وترى الماء يفيض من فمك، والحسود يحسد فيصيب بعينه المحسود، و تخيّل السقوط من فوق الجدار وأنت فوق الجدار يُسقطك بينما لو لم يكن ذلك الجدار مرتفعاً عن الأرض فلا يسقط، وكذلك حمرة وجه الخجِل وصفرة وجه الوجِل الخائف.. كلّ ذلك من باب تأثير الخيال و الارادة، ولو كان ذلك ممتنعاً لما أمكن وقوعه أبداً بينما هي تقع ولكن بدون أسباب عادية بل بصرف الارادة والخيال.

لابدّ للنبيّ من معاجز:

بعد العلم بما تقدم واثبات امكان الاعجاز وخرق العادات نقول: لابدّ للنبيّ من أن تكون له ثلاثة أنواع من المعاجز و خرق العادات، وهذه المعاجز الثلاث تنشأ من كمال له في قوى ثلاثة لديه.

فالمعجزة الاولى:

أن تكون له قوة قدسية خارقة في عقله النظري، بحيث تكون المواضيع العقلية من الغايات والمبادي حاضرة عنده من دون فكر و تأمل، فكما أن لاحاجة لعامة الناس في فهم الأوليات و الضروريات الى معلّم خارج عن وجودهم، بل يتلقونها لي عقولهم بصورة اوتوماتيكية بحيث لايعلمون من أين وكيف أُلقى اليهم، كذلك صاحب القوة القدسية الآلهية ترد على فكره المواضيع النظرية بحدودها المنطقية بصورة فجائية دفعية لاتعليمية بل الهامية.

وانما يمكن أن نفصّل هذا المجمل ببيان حقيقة القوة القدسية، فنقول:

إن النفس الانسانية الناطقة وإن كانت خفيفة واحدة بالماهية وحدّها المنطقي، ولكنّها بحسب الوجود لها مراتب مختلفة من الشدة والضعف والكمال والنقص، وانما يظهر هذا الاختلاف في العلوم النظرية، فمثلاً إنما يبرز من بين ألف تلميذ في المدرسة ـ و مع تكافؤ الفرص والوسائل ـ واحد او اثنين منهم عالمين ماهرين، ولا يبرز من بينهم الفيلسوف والپروفيسور الا في طوال القرون أو بعد مدة، ولايبرز الكاتب أو الشاعر من بينهم الا في البعض دون البعض الآخر. وقد تبرز من بينهم نفوس زكية وقرائح لطيفة على سبيل الاتفاق النادر بحيث يستغنى في مدة قليلة عن المعلم والاستاذ والمربّي.

جاء في ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا أنه استغنى في سن الثاني عشرة من عمره عن الحضور في مجالس الدروس فاعتزل مجالسهم واشتغل بنفسه في قراءة الكتب والافادة منها والتأليف والتصنيف.

وجود هكذا قوى واستعدادات فائقة في البشر دليل على أن من الممكن أن نجد في أفراد البشر من لهم قوة خارقة حتى تصل الى من لا يحتاج الى معلم و لا مراجعة كتاب أبداً، بل يدرك كل المواضع بحدّة قريحته وجودة ذكائه. ويكون مستغنياً عن التعلّم بذاته بقدرة القادر المتعالى بحيث لا يحتاج في ادراك المطالب النظرية الى أي فكر أو تأمل ولا ترتيب مقدمات البراهين، بل بمجرد التفاته الى المطالب يتفطّن الى وسائط معرفتها ومن علل الأشياء يصل الى معلولاتها فوراً.

وهذه القوة العاقلة الى هذه الدرجة تسمى القوة القدسية، وتلك الانتقالات السريعة من المقدمات الى المبادى والغايات تُسمّى حَدْساً فعقل هكذا انسان كالمصباح المشتعل والسراج المنير.

اذن، فما استقرّ في أفكار عامة الناس من أن ادراك العلوم لابدّ أن يحصل من التعليم، فانّما هو لكثرة هذا القبيل من العلوم والمعارف، وقلة ذلك النوع من العلوم اللدنيّة الآلهية، و الاّ فلا امتناع بحسب العقل لذلك، بل انّ وقوع ذلك النوع من العلوم دليل على امكانه.

وعليه فحيث أن نفس النبيّ أشرف من سائر النفوس، لذلك لابدّ أن يكون علمه أيضاً الفرد الكامل من العلم، وهو العلم اللّدني غير المكتسب والذي ينشأ من القوة القدسية.

و قد أثنى القرآن الكريم النبيّ العظيم وسائر الأنبياء بهذا المنصب الرفيع و المقام المنيع حيث قال سبحانه: «ما كنت تتلو من قبله من كتاب و لا تخطّه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون، بل هو آيات بيّنات في صدور الذين اوتوا الكتاب، وما يجحد بآياتنا الا الظالمون»[1] و «كذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه، نوراً نهدي به من نشاء، و انك لتهدي الى صراط مستقيم»[2] و

(١) العنكبوت: ٤٨.

(٢) الشورى: ٥٢.

«انك لتُلَقّى القرآن من لدن حكيم عليم»[1] و «علّمناه من لدنّا علماً»[2] و «علّمه شديد القوى»[3] و «علّمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً»[4].

ومن هنا جاء في أخبار عديدةفي «كتاب الحجة» من «أصول الكافي»: أنّ للأنبياء والأوصياء روحاً خامسة بالاضافة الى الأرواح الأربعة العامّة:

«عن جابرقال: سألته عن علم العالم، فقال لي: ياجابر، إنّ فيالأنبياء والأوصياء أرواحاً خمسة: روح القدس، وروح الايمان، وروح الحياة، وروح القوة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش الى ماتحت الثري. ثم قال: يا جابر، إنّ هذه الأربعة يصيبها الحدثان الا روح القدس فانها لا تلهو ولا تلعب»[5] ويقول المولوي جلال الدين الرومي ما معناه:

سوى ما في الحمير من الشعور ... عقول ركّبت فينا وأرواح
ويربو فيي النبيّ وفي الوليّ ... عقول فانقات ثم أرواح

***

فتشكف عنده الأسرار طراً ... بعلم الله يعلم كل معلوم
يعلّمه الآله بغير درس ... علوماً تحتوي من كل مفهوم[6]

---

(١) النمل: ٦.
(٢) الكهف: ٦٥.
(٣) النجم: ٥.
(٤) النساء: ١١٣.
(٥) أصول الكافي: ٢٧٢.
(٦) الأصل بالفارسية:

غير فهم وجان كه در گاو وخراست ... آدمي را عقل وجان ديگراست
باز غير عقل وجان آدمي ... هست جاني درنبي ودر ولىّ
كشف گردد نزد او سرّ ألست ... أو بعلم حق بداند آنچه هست
بي تعلّم حق دهد اورا علوم ... علمهائي برتر از درك فهوم

والتعريب للمعرّب.

وهذه الرتبة من العلم معجزة فوق سائر المعاجز، ولايشتبه بها شيء من الشعوذة والسحر والكهانة كي نحتاج الى الفرق بين المعجزة والسحر وأمثاله.

والمعجزة الثانية:

أن يشعر في حال اليقظة من عالم الغيب ما لا يشعر به الآخرون الا في حال ركود الحواس الظاهرة مثل حال النوم وشبهه. فنفس النبيّ القدسية لقوتها و عدم قيام العوائق والموانع دونها تشعر بالطرفين بحيث لايشغلها شأن عن شأن.

إن أرواحنا الضعيفة حينما تميل الى الباطن تغفل عن الظاهر، وحينما تُشغل بقوة من القوى تغفل عن غيرها، فنجد التوجه التام الى كلام يخل بالاستماع من الآخر، والتوجه الى الاستماع يُخل بالنطق، والخوف يذهل عن الشهوة والشهوة يُعرض عن الغضب، والفكر يمنع عن التذكر والتذكر يعوق دون الفكر.. كل ذلك بخلاف النفس النبوية القدسية القوية التي تتمكن من أن تكون واجدة في آن واحد لكل هذه الشؤون، بحيث لا تمنعه جهةعن جهة، و لايحجبه الحسّ الظاهر عن الحسّ الباطن، و لايمنعه التخيّل عن التعقل. فهو في حال اليقظة بامكانه أن يشهد أيّ صورة من صور عوالم الوجود، وأن يشهد صور الوقائع الماضية والحوادث الآتية، وأن يسمع دقائق العلوم والمعارف من عالم العقول. وهذا هو حقيقة سماعه لكلام الله تعالى وروية لجبرئيل الأمين.

وقد مدح القرآن الكريم النبيّ العظيم بهذه الرتبة الخاصة فقال تعالى في سورة الجن: «**عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصداً ليعلَم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وآحاط بها لديهم وأحصى كل شيء عدداً**»[1]

وقال تعالى في سورة هود: «**تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك، ماكنت تعلمها أنت**

---

(١) الجن: ٢٩.

ولا قومك من قبل هذا، فاصبر فان العاقبة للمتقين»[1].

وقال تعالى في سورة آل‌عمران: «وماكان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يَشاء، فأمنوا بالله ورسله، و ان تؤمنوا وتتقّوا فلكم أجر عظيم»[2].

وقال تعالى في سورة النجم: «مازاغ البصر وماطغى لقد رأى من آيات ربّه الكبرى»[3]، «ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى»[4].

«ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه، الاحين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرّون ومايعلنون إنه عليم بذات الصدور»[5].

المعجزة الثالثة:

أن تكون نفسه الفعّالة في شدة عملها وقوة تأثيرها بحيث يحصل مرادها في الخارج بمجرد ارادتها من دون إعمال آلات الجوارح، وأن تكون موادّ الكائنات خاضعة له ومطيعة في خلع صورها ولبسها لصور اخرى جديدة وهذا أيضاً أمر ممكن بلاشك و لاشبهة. ويدفع الاستبعاد عن وجود هكذا قوة ظهور آثار في هذا العالم بلا آلات و لا أدوات جسمانية من قبيل اجتماع الماء في الفم بمجرد ارادة تناول الأشياء الحامضة، و اصفرار الألوان في الوجوه الوجلة واحمرار الوجوه الخجلة، والسقوط من العلو بتخيل السقوط من مكان مرتفع غير عريض، و غير ذلك من الآثار التي تظهر بمجرد الارادة والتصور و التخيّل، ومن ذلك أثر عين السوء حتى ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «العين تورد الرجل القبر والجمل القدر» وقد ورد

---

(١) هود: ٤٩.

(٢) آل‌عمران: ٧٩.

(٣) النجم: ١٧ و ١٨.

(٤) النجم: ١٣ و ١٤.

(٥) هود: ٥.

الاستعاذة عنها في القرآن الكريم: «وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر»[1]. فلوكانت النفس في جانب الشر قوية الى هذه الدرجة فأي استبعدا لأن تكون بعض النفوس قوية في طرف الخير الى درجة أن تتصرف في العالم بمجرد ارادتها بحركة أو سكون أو خلق أو تكوين؟

يقول المولوي جلال الدين الرومي ما معناه:

تسجد الشمس وأفلاك القمر ... للذي حرّر نفساً وعَبَر
والذي ماتت به النفس الشرور ... كان طوعاً عنده كل الأمور
إنّ من في السعي شُلت ارجلُه ... فوق برق او براق محملُه
كنت سَمّاعاً مطيعاً للإلّه ... فكن اليوم أميراً لقواه
ان يكن عندك في هذا نظر ... فإذن شكك في «انشق القمر»
من يكون يمشي على وجه البحار ... أيّ عسر إن يكن يطوى القفار
قد ألان الله بالامر الأكيد ... للنبي داود عصيان الحديد
من له الفولاذ كالشمع غدا ... كيف لو للشمع يلويه بدا؟[2].

---

(١) سورة القلم: ٥١

(٢) الأصل بالفارسية:

آن گروهی كه رهيدند از وجود ... جرخ ومهر وماهشان آرد سجود
هركه مُراد اندر تن او نفس كبر ... مرورا فرمان برد خورشيد وأبر
آنكه باليش در ره كوشش شكست ... در رسيد او بر براق و برنشست
تاكنون فرمان بذيرفتى زشاه ... بعد از آن فرمان برانى برسهاه
تاكنون أخترأثر كردى دراو ... بعد از آن باشد أمير أخترا و
گر نورا اشكال آيد درنظر ... پس توشك داری در «انشق القمر»
در كف داود كاهن گشت موم ... موم جبود دركف او إى ظلوم

والتعريف للمعرّب.

هذا خلاصة الكلام في أصول المعجزات ومباديها.

شبهة في علم النبيّ والامام:

مازلت أسمع شبهة مكررة تطرح من قِبل بعض الظاهريين، رأيت من المناسب أن اكتب الشبهة وجوابها هنا، مخافة أن يكون القارىء ممن سمع هذه الشبهة و تجلّت له كأنها حقيقة.

أصل الشبهة هو: أن هذا المقام من الكشف والشهود الذي أثبتناه هنا للأنبياء وبعض الأولياء يتنافي مع تصريحاتهم واعترافاتهم عليهم السلام بعدمه، حتى أن هذه الاعترافات كانت معهودة من النبيّ خاتم الأنبياء والمرسلين، كما يحكي عنه القرآن الكريم اذ يقول: «ما كنت بدعاً من الرسل و ما أدري ما يُفعل بي ولابكم»[1] «قل: لا أقول لكم: عندي خزائن الله، و لا: أعلم الغيب، ولاأقول: في ملك»[2] «قل: لا أملك لنفسي نفعاً ولاضراً الا ماشاء الله ولوكنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّني السوء»[3].

والمحدث الكاشاني في كتابه «عين اليقين» ينقل خبراً عن كتاب «بصائر الدرجات»: روى محمد بن الحسن الصفار عن مولانا للصادق عليه السلام أنه سُئل:

تُسألون عن الشيء فلا يكون عندكم علمه؟ قال: ربما كان ذلك، قيل: كيف تصنعون؟ قال: يتلقانا به روح القدس» وروى عن سيد العابدين و أبيه الحسين مثله[4].

جواب الشبهة:

إن ما كان من ظواهر الآيات دالاًّ على نفي علم الغيب عن الأنبياء واختصاصه بالله تعالى، فانما

---

(١) سورة الأحقاف: ٨.

(٢) سورة الأنعام: ٥٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٨٨.

(٤) عين اليقين: ٣٨٦.

المقصود منها اختصاص علم الغيب بالله تعالى بالذات ونفي علم الغيب عن الأنبياء بذواتهم بالاستقلال، وليس نفي علم الغيب عنهم حتى بنحو التبعية والهداية والتعليم من الله العليم القدير وبوحي الأمين جبرئيل. والشاهد على هذا المعنى ذيل الآية من سورة الأنعام:«قل: لا أقول لكم: عندي خزائن الله، ولا: أعلم الغيب، ولا أقول لكم: إني ملك، إن أتبع الا ما يُوحى إلي»[1] إذ يصرّح بثبوت مقام الوحي للنبيّ وكذلك الآيات الاخرى الصريحة في ثبوت مرتبة علم الغيب و مقام الوحي والعلم الله اللدنّي لهم لكن بتعليم الله وهدايته. هذه خلاصة الاجابة عن هذه الشبهة. فلنرجع الى صلب الكلام عن المعجزات.

الفوارق بين النبيّ والامام:

لاكلام في إناطة النبوة والامامة بهذه المراتب الثلاثة للمعاجز، إنما الفرق في ذلك في المعجزة الثانية، و ذلك في أنّ عروض حالة الوحي و رؤية الملَك المُوحي تختص بمقام النبوة، وليست هذه الحالة في الامامة، و إن كان كلاهما (النبيّ والامام) يتمتّعان بتلك النفس القدسية في مقام تلقي العلوم الآلهية بالالهام والالقاء في القلب، ولذلك فهما ـ كلاهما ـ عن المعلم غير النبيّ لتلقي العلوم والمعارف الآلهية. وهذا فرق واضح وحتمي في خصوص المعجزة الثانية.

والفرق الآخر الجاري في جميع أقسام المعجزة فيما بين النبيّ والامام هو: أن النبيّ بالنسبة الى الامام هو الأصل والمتبوع في جميع الكمالات، والامام هو الفرع والتابع، فماكان الإمام من الكمالات ومراتب المعاجز انما تكون له في ظل تعليم الرسول وتربيته له وتبعية الامام النبيّ، ولاشيء له من نفسه، ولذلك روى عن علي عليه السلام قوله «أنا عبد من عبيد محمد».

***

(١) سورة الأنعام: ٥٠.

وكيف نعلم بالاعجاز:

والبحث الآخر الذي لابدّ منه هنا هو طريق علمنا اليوم مع بُعد عهدنا عن زمان صدور المعجزات، وماهو وجه الامتياز بين المعاجز والسحر والشعوذة والكهانة؟

أولاً: إن طريق الاطلاع على الحوادث والأوضاع في هذه الحياة ليس منحصراً بطريق الاحساس بالرؤية، بداهة أننا نعلم بوجود دول بعيدة عنا في هذا العالم أو حدوث وقائع فيها بينما لم نرها نحن بالحسّ والعيان، ولم نحصل على ذلك العلم الا عن طريق التواتر او الاحتفاف بالقرائن القطعية، والتواتر عبارةعن اخبار جماعة يعلم منها أنها لم تتأمر فيما بينها على الكذب، وكل منهم يخبر عن حسّه وليس حدسه، ويكون الخبر واصلاً الينا يداً عن يد. وطبيعيأن هذا الخبر ولوكان عن زمن متوغلٍ في القدم الى زمن صاحب الدعوى و المعجزة فانه مفيد للقطع واليقين. وإن الأخبار عن معاجز نبي الاسلام وأئمة الشيعة الكرام من هذا القبيل، فانها واصلةاليهم بالتواتر بين المسلمين أو الشيعة يداًعن يد، ومع هذا الوصف يقطع الانسان بوقوع تلك المعاجز وعدم وجود معارض لها يبطلها يومئذٍ.

وثانياً: نحن بحمدالله من الأمة المرحومة ونفخر بوجود المعجزة الباقية عن النبيّ الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن الكريم، حتى ولو لم تثبت ايّ معجزة اخرى عنه بالتواتر ـ بينما هناك عدة معاجز اخرى ثبتت عنه صلى الله عليه وآله بالتواتر ـ لذلك لاحاجةلنا الى تكلّف اثبات التواتر في ثبوت المعجزة لاثبات النبوة والشريعة، وبامكاننا أن نحتجّ بهذا القرآن ونتحدى به أهل العالم، ونثبت به الأقسام الثلاثة من الاعجاز. في حين أنّ أصحاب سائر الأديان السماوية مع حاجتهم لاثبات شريعتهم وكتابهم بالتواتر غير قادرين على ذلك؛ فانّ اليهود باقرارهم بلغ عددهم الى سبعين وأسرهم نبوخذ نصر وذهب بهم الى بابل العراق وأبقاهم عنده مدة مديدة حتى نسوا خطّهم ولسانهم العبري ولم تبق عندهم نسخة من كتابهم التوارة بل أحرقوا كتابهم، ثم يدّعون أنّ عزيراً حيي بعد مئة سنة فكتب لهم التوراة وعلمهم الخطّ و اللسان العبري

ولذلك دعوه ابن الله. وعليه فتوراتهم تنتهي الى رجل واحد لم تثبت نبوّته ولاموته ولاحياته بالتواتر.

وأما النصارى المسيحيون، فبما أنهّم يعترفون بأنّ مدة نبوة عيسى ودعوته كانت ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، ولم يؤمن به اكثر من واحد وسبعين فرداً وأن الانجيل فقد يوم الصلّب، والأناجيل الأربعة الحاضرة من محفوظات تلامذته فكل انجيل منها يستند الى أحد منهم مع ما بينها من الاختلافات الكثيرة. إذن فلا كتابهم ولانبوة نبيهّم يثبت بالتواتر، فان اولئك السبعين وبعد اكثر من تسعة عشر قرناً من الزمان ومع عدم وجود قرائن قطعية، لايفيدون القطع أبداً.

وهذا بخلاف رسالة رسول الاسلام، الذى بلغ عدد أصحابه على عهده اكثر من مئة الف وثلاثين ألفاً، هذا عدا عن عدد جموع المسلمين من الحجاز واليمن، وشريعته وكتابه السماوي وهو معجزته الباقية والحاوية للمعاجز الثلاث المذكورات قد بلغت الينا يداً عن يد وجمعاً عن جمع كثير غير قليل، ولم يعرض للاسلام حدث يقلل المسلمين عما كانوا عليه على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما معجزات الأئمة الاثنى عشر فقد ثبتت الأقسام الثلاثة منها بالنسبة الى كل واحد من الائمة لدى الطائفة الشيعية بشكل متواتر، وأضف الى ذلك أن هناك نصوصاً على امامة كل واحد منهم عن النبيّ وعن كل امام سابق على الامام اللاحق بصورة متواترة وثابتة، ومع وجود النصّ المتواتر القطعي لاحاجة الى اثبات المعاجز عنهم. ومن يريد المناقشة في ذلك فعليه بالرجوع الى الكتب الكلامية وعقائد الشيعة الامامية، فان هذا المختصر لايسع لذكر كل ذلك.

امتياز الاعجاز عن المشابهات:

وأما تمييز المعجز عن غيره من قبيل الشعوذة والسحر والكهانة: فنقول: إن أوّل مميّز لذلك اتصاف النبيّ بشكل الأنحاء الثلاثة من المعاجز، والخصال الثلاث بمجموعها لم ولا ولن تشتبه

بأي نحوّ من أنواع خوارق العادات الاخرى، إذ أنه لايمكن الاحاطة بجميع المعلومات والحقائق والمعارف لغير مقام النبوة، والتي هي مقام الاتصال بالعقول القدسية ونزول الوحي وتعليم جبرئيل، اللهم الا أن يكون ذلك بواسطة الأنبياء، أنفسهم، وبتبعهم للأئمة المعصومين عليهم السلام.

وعليه، فلو ثبت لأحد علمه ببعض الغيب، كما هو معروف عن المرتاضين الهنود، أو ثبت لأحد من قوة النفس ما يُحضر به بعض مُراده، كما ينقل مثل ذلك عن بعض أهل السير والسلوك، فان عدم اتصاف أي واحد منهم بتلك القوة القدسية الجامعة لهما مع العلم المطلق لا يوجب ذلك الالتباس بمقام النبوة والامامة، إذ أن ميزان النبوة والامامة أن يكون مدّعيهما متّصفا بتلك الخاصة القدسية والتي من فروعها العلم بالغيب والقدرة على الخوارق، لامجردّ أي واحد من هذين.

والخلاصة: أن ذلك المقام المقدس مصون عن الالتباس بالسحر والشعوذة والكهانة، ولكن تختص المعرفة بذلك المقام الخاص بالأوحديّين من العلماء، وأما العامّة من الناس فحيث انهم لايفهمون شيئاً آخر سوى المحسوسات بالمشاعر الظاهرة لذلك فانّ ما يتجلّى لهؤلاء انما هو الاعجاز من النوع الثاني والثالث، بينما هما في رتبة متأخرة عن المرتبة الاولى.

ولالتفات علماء الدين والمذهب الى عدم امكانية المعرفة بالقوة القدسية والمقام العلمي للأنبياء، والأئمة، لعامة الناس، لذلك جعلوا لمعرفتهم علامة اخرى هي لازمة اخرى من لوازم تلك القوة القدسية وهي عبارة عن العصمة.

وما معنى العصمة ؟

وقوة العصمة عبارة عن حالة روحانية ومَلَكَةً نفسانية يمتنع مع وجودها صدور المعصية في الأفعال والجهل والنسيان في العلوم والمعارف من صاحبها. وبدهي أنه لوكان لأحد نفس

قدسية بمعنى أن يكون يعلم بحقائق كل الأشياء من المبادي الى الغايات كما هي عليه بحقائها بعلم شهودي عينيّ بلاتعليم معلّم، وكان في قوة نفسه بحيث لاتحجبه الجهة القريبة عن البعيدة والتحتانية عن الفوقانية، ولا يحجبه الحسّ الظاهر عن الحسّ الباطن، ولا يمنعه التعقّل عن التخيّل ولا التخيّل عن التعقّل كما مرّ، فانه لايكون محجوباً بحال من الأحوال عن حقائق الخلق، ويكون له دائماً مقام الحضور بين يدي الله تعالى. فليس له حجاب عن الحق ولاجهل بالحقائق من منافع الأعمال والأشياء ومضارها، فلا داعي له للعصيان. والعصمة لهذا الشخص بهذا المعنى من لوازم ذلك المقام والكمال.

العصمة والقدرة:

قالوا: لوكان صدور المعصية ممتنعاً من صاحب العصمة كان فعل المعصية خارجاً عن قدرته، و ما كان خارجاً من القدرة فهو فعل غير اختياري وعليه فلا كمال في ترك المعصية له ولا ثواب عليه؟!

والجواب، أن الامتناع على نوعين: امتناع ذاتي، وامتناع وقوعي. والخارج منهما عن القدرة هو الامتناع الذاتي كشريك الباري تعالى واجتماع النقيضين، وصدور المعصية من المعصوم من قبيل الامتناع الوقوعي لا الذاتي، فهو ممكن ذاتاً الا أنه يلزم من وقوعه انتفاء صفة العصمة وهو خلاف الفرض. أو يلزم ان يكون المعصوم لايمتنع صدور المعصية منه وهذا يعني انفكاك الملزوم عن اللازم، وهذا أيضاً مُحال ممتنع. فالامتناع الوقوعي لاينافي الامكان الذاتي، ولوكان وقوعه ممتنعاً لامتناع لازمه.

مثلاً: اهمال العباد وظلمهم قبيح فهو ممتنع على الله تعالى، ولكنّه مع ذلك مقدور له سبحانه، إذ لايمكن القول بأنه لاقدرة له على ذلك والا لزم اثبات نسبة العجز اليه. إذن: فالظلم من الله ممكن ومقدور له ولكن وقوعه ممتنع لأنه يلزم من فرض وقوعه نسبة الحاجة أو العجز الى الله

وهو مُحال ممتنع، وماكان يستلزم أمراً ممتنعاً كان هو أيضاً ممتنعاً.

وبعد ذكر هذه المقدمة يتضح الجواب عن السؤال المذكور: أن ما نقول به من لزوم العصمة بالمعنى المذكور في النبيّ والامام، مثاله مثال أن نقول بوجوب اللطف والعدل على الله. وما نقوله من امتناع صدور المعصية عن النبي والامام مثاله مثال أن نقول بامتناع الظلم والإهمال على الله. فكما نقول أن الله في لطفه وعد له ليس فاعلاً بالجبر مجبراً عليه بل يفعل اللطف والعدل مريداً مختاراً كذلك المعصوم يكون مختاراً. وكما نقول بامتناع الظلم والإهمال من الله تعالى ومع ذلك لانقول بعجزه وخروجهما عن قدرته، كذلك نقول بأن فعل المعصية من صاحب المعصية ممتنع ومع ذلك هو مقدور له وممكن، إذ يكفي في كون الفعل أو الترك اختيارياً أن يقع الفعل أو التركُ عن علم وارادة ولوكان الصدور واجباً والترك محالاً أو الترك واجباً والصدور محالاً.

إذن فحقيقة معنى العصمة: أن المعصوم ـ مع الامكان الذاتي ووجود الداعي ـ له من طهارة طينته وقوة قدرته أن يقهر دواعي الشهوة والغضب، وله من الاستيلاء على الهواجس النفسانية والقوى الحيوانية مايسلم الشيطان له ولايقهره.

والفرق بين العصمة والعدالة: هو أنه لا امتناع لصدور المعصية مع صفة العدالة، ذلك أن العدالة عبارة عن أن اعتداد العادل بدينه يحمله غالباً أو عادة على فعل الواجبات وترك المحرمات، فلو تحرك العادل بخلاف مقتضى عادته لباعث قوي على سبيل الاتفاق لم يكن ممتنعاً ولاخارقاً للعادة ناقضاً لها، بل هو من قبيل ما قيل: الجواد قد يكبو والصارم قد ينبو، ولذلك فهو يتنبّه ويندم، ولا تنثلم بذلك عدالته. بخلاف العصمة، اذ معها يمتنع صدور المعصية من صاحبها، والالزام خلاف الفرض.

***

قاعدة اللطف:

قالوا: كما تجب صفة العدل لله تعالى كذلك تجب له صفة اللطف، وفي معنى قاعدة اللطف قالوا: هو توفير مقتضيات الهداية ومقرّبات العباد الى الطاعة والمبعّدات لهم عن المعصية. فما كان مقتضياً للهداية والارشاد ومبعّداً عن المعاصي كان واجباً أن يوفّره الله «لئلاّ يكون للناس على الله حجة» ولتنقطع الأعذار والحجج منهم على الله.

وبدهي أن النبيّ والامام لوكانا لتعليم الناس وتربيتهم وايصالهم الى غاياتهم الكمالية واعراضهم عن زخارف الدنيا والمعاصي واقبالهم على العبادة والآخرة، فلو كانا هما واجدّين لجميع الكمالات الانسانية منزّهيَن عن جميع الرذائل الخَلقية والخُلقية التي توجب تنفير الطبائع عن معاشرتهم ومصاحبتهم كانت الدواعي للتأسّي والاقتداء بهم أوفر، وميول الطِباع الى مصاحبتهم ومجالستهم اكثر، والوثوق والاعتماد على كلماتهم ودعاويهم أقوى، فهم على ذلك أقرب الى النتيجة من بعثهم ورسالتهم وأسرع.

ومن هذا التقرير تبيّن لزوم توسيع معنى المعصمة الى جميع الجهات و الحيثيات العقلية والبدنية والخَلقية والخُلقية والحسبية والنسبية، وفي جميع الأزمنة والحالات أي قبل البعثة وبعدها، في النبيّ المبعوث والوصي المنصوص عليه بالخلافة، وذلك بحكم وجوب اللطف على الله الحكيم القدير، عاصماً النبيّ والامام عن جميع النواقص العقلية والبدنية والخَلقية والخُلقية والحسبية والنسبية. فالنواقص العقلية كالجهل والجنون والخبل والسفه والسهو والنسيان، والنواقص البدنية مثل ارتكاب قبائح الأعمال وشنائع الأفعال عمداً وخطأً كبيرة وصغيرة. والنواقص الخُلُقية مثل الشّر والخمود والجبن والتهوّر والبلاهة. والنواقص الخَلقية مثل الأمراض المنفّرة من قبيل الجذام والبرص. والنواقص النسبية مثل دناءة الآباء والأُمّهات.. وهكذا انسان وان كان نادر الوجود ولكنّه ممكن الوجود وداخل تحت قدرة الله تعالى.

العصمة والمعصية؟

اعترضوا على القول بالعصمة بقولهم: ما أثبتّموه من العصمة وأقمتم عليه البرهان مخالف لظاهر القرآن والأدعية الواردة عن المعصومين عليهم السلام، فالقرآن الكريم يقول عن آدم عليه السلام: «وعصى آدم ربه فغوى»[1] ويقول لرسول الله محمد: «ليغفرلك الله ما تقدم من ذنبك وماتأخّر»[2].

جواب الشبهة:

أرجو ـ أولاً ـ أن تحكّموا أفهامكم وتتأمّلوا حول هاتين الآيتين: فهل يمكن حمل كلمتي العصيان والذنب فيهما على المعاصي المتداولة بين المجتمع البشري؟ من قبيل الزنا وشرب الخمر والسرقة والكذب وأمثالها، أي مخالفة النواميس والتكاليف الشرعية والقوانين الآلهية التي هم قاموا بتبليغها للناس؟!

انكم إن تأمّلتم جيداً وأنصفتم لتصّدقوننا بعدم احتمال ذلك؛

ذلك أن الآية الاولى تحكي حال آدم عليم السلام قبل هبوطه الى الأرض وقبل وجود المكلّفين وقبل وضع التكاليف وتشريع الاحكام والقوانين، ولما لم يكن يومئذٍ أيّ تكليف فكيف نفترض الطاعة والعصيان والغواية والضلال؟!

وحينما تتأمّلون في الآية الثانية بدقة تجدون عدم امكانية تفسير الذنب في الآية بمعنى المعاصي المتداولة؛ ذلك أنها نزلت في فتح مكة، وسياق الآية سياق الامتنان بالنعم على نبيّ الأسلام: أنا فتحنا لك مكة الصعبة بكل يسر وسهولة. فهل من المناسب ـ لدى المنصف ـ أن يمنّ الله المولى على عبده بنعمة كبرى بازاء ماتقدم من ذنبه وما تأخّر؟ «ليغفر لك الله ماتقدّم من

---

(١) طه: ١٢١.

(٢) سورة الفتح: ٣.

ذنبك وماتأخّر» بينما ماهو المتعارف عليه بين الموالي العرقيين والعبيد أنه متى ارتكب العبد ذنباً جزاه مولاه بالعقوبة وسلب النعمة لاافاضتها والامتنان بها، ولم نعهد لله عرفاً بخلاف سلوك عبيده الموالي العرقيين.

فكيف يمكن أن يكون معنى الآية: أننا فتحنا لك مكة بسير وسهولة بازاء ماتقدم من ذنبك وما تأخّر؟! «ليغفر لك الله ماتقدّم من ذنبك وماتأخّر» هل من الممكن أن نحمل كلام الله المجيد ـ الذي هو في منتهى درجات الاعجاز وفوق مايصفه به الواصفون ـ على هذا المعنى غير المناسب و غير المنسجم؟!

إذن: فلابدّ أن يكون معنى العصيان والذنب في هاتين الآيتين معنى آخر سوى المعنى المتعارف منهما بيننا، كما قرّر المحققون من بارعي المفسّرين أن معنى العصيان والذنب في هاتين الآيتين هو العجز والقصور الذاتي والفتور والضعف النفساني والفقر والاعواز الانساني الامكاني أمام الله الغنيّ على الاطلاق. ويتضح هذا المعنى ببيان مقدّمة توضيحية نقرّرها هنا بصورة ساذجة وميسّرة، فنقول:

إنّ للأنبياء والأوصياء مع الله نسبتين: نسبة الى الخلق واخرى الى الخالق، فهم بالنسبة الاولى لهم سمة الهداية والقيادة والتربية، وهم في ذلك وسائط المعرفة والارتباط بين الله وعباده. وهنا يقومون هم بالتعريف بأنفسهم عن كمالاتهم ومقاماتهم العلمية وقربهم المعنوي من الله تعالى، بحسب استعداد الأفراد، فيقول الرسول: «إنّ لي مع الله حالات لايسعني فيها ملك مقرب ولانبيّ مرسل» ويقول وصيّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام: «سلوني قبل أن تفقدوني» و أمثال ذلك، ويصدّق الله رسوله فيقول: «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين»[1] و «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

(١) آل عمران: ٣٣.

ويطهّركم تطهيراً»[1] وغير ذلك من الآيات الكريمة.

فما ادّعيناه لهم من الكمالات العلمية والعملية، والعصمة الخَلقية والخُلقية، والحَسَبية والنسبية، وأقمنا عليه البرهان، انما ذلك عن هذه المرحلة من الجانب الانساني، ففي هذا المقام لابد أن يكونوا كاملين علماً وعملاً وفعلاً، لكي يتمكنوا من القيام بالتعليم وتربية الأمة، وأن يكونوا منزّهين عن جميع النقائص والرذائل لكي لايصابوا بقصور عن التقدم في أهدافهم الآلهية.

هذه خلاصة عن شؤون الجانب الأول من نسبتهم الانساني.

وأما في الجانب الثاني من نسبتهم، وهي النسبة الى مبدأ كمالاتهم وخالقهم، فهم في هذه النسبة قاصرون فقراء معوزون محتاجون الى ربّهم الغنيّ بالذات، بل هم في هذا المقام يبالغون في اظهار الفقر والقصور بل التقصير، ويصرون على الاعتراف بالجهل والعجز والانكسار: «ماعرفناك حق معرفتك، وما عبدناك حق عبادتك» و «الّهي طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي» ويطلبون العفو والمغفرة والمزيد من المعرفة. والله تعالى قد يخاطبهم في هذه النسبة وفق عظمته وكبريائه وحسب فقرهم الذاتي، ونقصهم الامكاني، فيعاتبهم أو يحكي عنهم فيقول: «ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً»[2] «وعصى آدم ربّه فغوى»[3] «إنه كان ظلوماً جهولاً»[4] وقد يعدّد عليهم عطاياه ومواهبه لهم فيقول: «ألم يجدك يتيماً فآوى، ووجدك ضالاً فهدى»[5] و «انا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخّر»[6] الى غير ذلك من هذا القبيل من المقال الذي هو بصدد بيان كبريائه

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) طٰهٰ: ١١٥.

(٣) طٰهٰ: ١٢١.

(٤) الأحزاب: ٧٢.

(٥) الضحى: ٦ و٧.

(٦) الفتح: ٣.

وعظمته بالنسبة اليهم.

إذن: فالثابت هو أن الأنبياء والأوصياء في جانبهم الأوّل يجب أن يكونوا مبرّأين منزّهين عن كل نقص علمي أو عملي، وأن لايكون على حجورهم الطاهرة أي تلوث بالمعاصي والمناهي الالّهية، وتكون ساحتهم مقدّسة عن أي قبيح أو رذيلة خُلُقية أو خَلقية، عقلية أو بدنية، حسبية أو نسبية.

وأما في النسبة الثانية والجانب الثاني، أي نسبتهم الى كبرياء الله وعظمته وغناه بالذات، فانهم مهما بلغوا من الكمال فقراء بالذات، فكل ممكن بالذات فقير ناقص. وبعد هذه المقدمة نقول في جواب الاشكال: حيث أن القرائن المقالية و المقامية تشهد بعدم امكان ارادة المعاصي المتداولة بيننا من الآيتين، فلابدّ أن يكون المراد من الكلمتين النقص والقصور الامكاني الذاتيّ فيهم بالنسبة الى الواجب الكامل والغنيّ بالذات.

وعليه فحاصل معنى الآية الاولى: «وعصى آدم ربه فغوى»[1] أن آدم كان ناقصاً وقاصراً بالنسبة الى ربّه سبحانه وغاوياً في حجاب علائقه البشرية «ثم اجتباه ربّه فتاب عليه وهدى»[2].

ومعنى آية: «ليغفر لك الله ماتقدّم من ذنبك وماتأخّر»[3] أننا فتحنا لك مكة انعاماً وافضالاً بلا تعب ولانصب من الحرب والجلاد، لنستر على نقصك وقصورك وعجزك الذاتي السابق واللاحق عن هكذا فتح وتقدم، فأنت بحسب امكانك الذاتي لم تكن قادراًعلى هذا العمل الكبير، ولكنّا يسّرنا لك ذلك لاتمام الحجة واكمال البيّنة وازالة صفة النقص والعجز عنك.

***

(١) طه: ١٢١.

(٢) طه: ١٢٢.

(٣) الفتح: ٣.

لماذا الدعاء؟

وهنا في خاتمة المطاف لابأس بمناسبة الاشارة الى اعترافات الأنبياء والأوصياء والأولياء في الدعاء بالذنوب والمعاصي، أنّ نختم موضوعنا بذكر جواب علمي منطقي على سؤال بل شبهة من الكسروي تقول:

ـ ماهو أثر الاستشفاء بالدعاء والتوسل في مواقع المرض والضيق والابتلاء ؟ ومتى وأين آثارها؟ إن كان هناك أثر لها فهاتوه، وإلاّ فلماذا تؤيدّون عامّة الناس في ذلك ولا تحملونهم على العمل لاعداد وسائل دفع الأمراض؟!

الجواب: ليست الأسباب والعلل في طبيعة هذا العالم الماديّ محصورة بالاسباب والآثار المحسوسة الملموسة، فإنّ هناك الكثير من الأسباب والمؤثرات القطعية غير المحسوسة، ولكننا ندرك وجود تلك الأسباب والمؤثرات بالتجربة ووجود آثارها، نشير نحن هنا الى أربعة نماذج من هذا القبيل من الأسباب والمؤثرات، وبالتصديق بها تجدون السبيل ميسوراً الى حلّ الاشكال والشبهة في آثار الدعاء.

١ ـ اتّفق الحكماء والعرفاء وعلماء النفس و«المانيتيزم» على أن الروح الانسانية ليست جسماً ولا حالاًّ في الجسم ولامن القوى الجسمانية، مع ذلك يحملنا البرهان والوجدان على الاقرار والاذعان بوجود هذه القوة خارجة عن المادة والطبيعة غير ملموسة ولامحسوسة لأيّ واحدة من الحواس على الاطلاق.

٢ ـ هل من الممكن أن ننكر وجداننا لحالة من حالات أرواحنا وهي حالة الحبّ والحزن لفقد الحبيب؟ أو ان ننكر آثار ذلك من الندبة والبكاء والصفرة والانضواء؟ وهي مشهودة محسوسة للجميع. فلابدّ من التصديق بأن الحبّ حالة روحانية وموجود غير ماديّ وغير محسوس، وله آثار ولوازم محسوسة ملموسة.

٣ ـ هل أن القوة المغناطيسية الجاذبة الموجودة في بعض المعدنيّات والفلزّات بصورة

طبيعية ـ وقد توجد بصورة تصنيعية ـ مع مالها من آثار غريبة وفوائد عجيبة تحيّر العقول، هل هي أمر محسوس باحدى الحواس الخمس؟ بل لابدّ من التصديق هناكذلك بأن هذه القوة أيضاً من القوى غير المحسوسة مع مالها من الآثار المحسوسة الكبيرة.

٣ ـ ألم تسمعوا أن الطاقة الكهربائية التي أشرقت اليوم في العالم وزادته رونقاً وبهاءً، ألم تسمعوا بأنها غير محسوسة حتى اليوم؟ وانما يحكمون بوجودها من آثارها كظهور البرق والحركة وانتقال الصوت في الراديو والتلفزيون والتلغراف والهاتف.

فهذه شواهد أربع علمية وفنّية وتجريبيّة تشهد بوجود أسباب ومؤثرات غير محسوسة، ومع التصديق والاذعان بوجود أشياء غير محسوسة لها لوازم وآثار محسوسة ما المانع أن يكون الدعاء والتضرّع والاستشفاء من الله تعالى وهو مسبّب الأسباب، جعله الله سبباً لمؤثر غير محسوس كالمغناطيس والكهرباء، تكون له آثار محسوسة من قبيل شفاء الأمراض أو توسعة الأرزاق أو النجاة من المهالك.

وثانياً نقول: على افتراض أن لايكون هناك أيّ أثر للدعاء، مع ذلك لايكون الدعاء لغواً ولالعباً، بل هو وفق أصول التوحيد وعبادة لله تعالى.

ولم نقل ولن نقول بأن لايتوسل أحد في الامور الدنيوية الاعتيادية بالوسائل والأسباب الصورية، بل نقول دائماً بأن على الانسان أن يزاول الوسائل والأسباب الصورية بكل جدّية، ولكنّه لاعتقاده بارتباط الأسباب بمسبّبها وتعلق الوسائل بجاعلها، فعليه حسب عقيدته أن يتوسل ضمن عمله بمسبّب الاسباب وواضعها، حتى ولو لم يرأيّ أثر من التوسل والدعاء زائداً على أثر الوسائل والأسباب، فانه بذلك يوثق صلته بربّه، ويعمل بوظيفة الأدب معه.

والقرآن الكريم مع كل حثه وترغيبه في العمل وأمره بالجدّ والاجتهاد فيه، كقوله سبحانه: «يا أيها النبيّ حرّض المؤمنين على القتال»[1] و «وأعدّوا لهم ما استعطتم من قوة ومن

---

(١) الأنفال: ٦٥.

رباط الخيل»[1] و «فضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً»[2] و «فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله»[3] و «وأن ليس للانسان الا ما سعى»[4] الى غير ذلك من هذا القبيل من الآيات الكثيرة..

مع ذلك.. وبمان أن الأسباب الامكانية ليست سوى آلات ووسائط في الواقع والحقيقة، لذلك نراه في مواضع اخرى أنّ الآثار والأفعال الصادرة بواسطة الوسائل والأسباب قد نسبها الى الله تعالى فقال: «إن لا تنصروه فقد نصره الله»[5] و «وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله، هو الذي يدّك بنصره وبالمؤمنين»[6] «فلم تقتلوهم، ولكنّ الله قتلهم، ومارميت إذ رميتَ ولكنّ اللهَ رمى»[7] «إنه هو الذي أضحك وأبكى، والذي أمات وأحيى، والذي خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى، وأنه هو أغنى وأقنى»[8]. و «ما تشاؤون الا أن يشاء الله»[9].

إذن، فالوجود الامكاني في أي موجود ممكن له اعتباران وانتسابان: مطلق لابشرط، وبهذا الاعتبار ينتسب الى الحق سبحانه وتعالى بأنه فعله وصنعه وأثره. ثم اعتبار مشروط بالشيئية، وبهذا الاعتبار ينتسب الى نفس الممكن بأنه وجود، وظهور.

فاذا علمنا بأن لكل ممكن انتسابين: احدهماالى الفاعل والآخر الى القابل، فان أثر ذلك الممكن أيضاً يكون له انتسابان فان وجود الفرع مبتني على وجود الأصل.

---

(١) الأنفال: ٦٠.
(٢) النساء: ٩٥.
(٣) الجمعة: ١٠.
(٤) النجم: ٣٩.
(٥) التوبة: ٤٠.
(٦) الأنفال: ٦٢.
(٧) الأنفال: ١٧.
(٨) النجم: ٤٣.
(٩) الدهر: ٣٠.

فالانسان الالٰهي مع مشاهدته لموجودات عالم المادة وخواصّها وآثارها، حيث أن معرفته وعلمه وعقيدته قد اخرجته من ظلمات الطبيعة بالدليل والبرهان أو الكشف والوجدان، فهو حينما يمدّ يده الى أيّ سبب من الأسباب وأي وسيلة من الوسائل الماديّة، لايرى ذلك السبب اكثر من آلة أو واسطة، ولذلك فهو يقدم على عمله متوجها الى ربّه ومتوكّلاً عليه وداعياً متضرّعاً مبتهلاً، ولله الحمد.

والسلام على من اتبع الهدى

وجانب الرّدى

بحث حول

علم النبيّ والامام

مقدمة:

نظرية تقدم بها من العلماء الماضين من نظراً الى حق صحبته معي، وبعض ما تقدم به من خدمات الى مجتمعه، أمتنع عن ذكر اسمه.. تقدم بنظريته هذه في احدى مؤلّفاته باسم «مفتاح فهم القرآن الكريم»[1] بصورة معقّدة وفي طيّ كلمات ملفوفة وعبارات متفرقة، يقول:

إن المقدار الواجب واللازم من العلوم والمعارف في النبيّ والامام هو خصوص علم الدين والشريعة. يعني علم أصول الدين وفروعه من اصلاح الأعمال وتهذيب الأخلاق، لنشأه الآخرة في يوم المعاد.

وبعبارة اخرى يقول: إن اللازم الملازم لمقام النبوة والرسالة هو الأخذ بيد الروح البشرية والعروج بها من حضيض الحيوانية الى أوج مقام الانسانية علماً وعملاً. بمعنى أن الهدف الحقيقي والأصلي للنبيّ والامام هو اصلاح النشأة الآخرة، وهداية البشر الى موجبات السعادة الأبدية و سوقهم الى تحصيل وسائل الحياة الخالدة، و لاينظرون من علوم الدنيا الا الى صون النظام الاجتماعي وسياسة البلاد وتدبير الأمور وتهذيب الأخلاق فقط، وذلك ما يُفاض عليهم

---

(١) بالفارسية: كليد فهم قرآن.

بالوحي أو اللالهام. والشرائع السماوية الحقة، والقرآن الكريم يحوي كل هاتين الطائفتين من علم الدنيا والدين. ثم لا وجه للزوم العلوم الاخرى التي لا دخل لها في الغاية والغرض من بعثة الأنبياء والمرسلين، من قبيل علم الحساب والهندسة والجبر والمقابلة والفيزياء والكيمياء وصناعة الطائرات والأسلحة والطب وأمثال ذلك، ولا وجه لتوّقع مثل ذلك من مثلهم.

ولذلك نرى القرآن الكريم لايحوي اكثر من هاتين الطائفتين من العلم اي علم الأصول والفروع والأخلاق فقط. أما ما يظهر منه من آيات القرآن الكريم أنه يحوي جميع العلوم كقوله سبحانه: «ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء»[1] و «ما فرّطنا في الكتاب من شيء»[2] و «وما كان حديثاً يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء»[3] الى غير ذلك من الآيات الاخرى بهذا المعنى. أوّل كل هذه الآيات الى أن ليس المراد جميع العلوم والفنون والصناعات، بل كل ما يرتبط بعلوم الدين والشريعة.

كما أن بُقراط أبا الطبّ لوكان يقول: أنا قد بيّنت في كتاب «قرابادين» كل شيء، كان معلوماً أنه قد بيّن كل ما يرتبط بالطب وخواص الأدوية، لا كل العلوم حتى مسائل الحساب والهندسة.

وخلاصة كلام ذلك العالم في محتويات القرآن الكريم ومقدار علوم نبيّ الاسلام هي: أن علوم نبيّ الاسلام هي ما بلغه بالوحي وجُمع بين دفّتي القرآن الكريم، وهي على أقسام: فقسم منها: معارف آلهية من المبدأ وأسمائه الحسنى وصفاته ويوم المعاد. وقسم منها: أحكام عملية في الأعمال الانسانية السامية والأخلاق الفاضلة. وطائفة منها: تحذير عن العواقب السيئة وتخويف عن الأعمال القبيحة والأخلاق الذميمة. وطائفة منها: قوانين مدنية واجتماعية. وشطر منها قصص وحكايات للعظة والعبرة.

هذه هي امّهات مواضيع الكتاب السماويّ في الاسلام والذي هو مجلى علم النبيّ.

---

(١) النحل: ٨٩.

(٢) الأنعام: ٣٨.

(٣) يوسف: ١١١.

وهذه هي خلاصة كلمات ذلك العالم، قرّرناها ببيان وتحرير منّا.

وظنّي أن صدور هذه النظرية الواهية من تلك الشخصية الكبرى ليس من خمود فكره وجمود قريحته، بل لمصلحة مجاراة ساير الفرق الاسلامية أبدع فقال ذلك.

وعلى أيّ حال، فاني نظراً الى مُفاد المثل القائل: الحق أحق أن يهدي فيتّبع. رأيت أن أبدأبحديث حول وهن هذه النظرية ليظهر وهنها للقارىء الكريم:

***

أرى أن هذه النظرية وإن كانت تكفي لحصول أدنى مراتب الاسلام والتشيّع ودخول صاحبها في الفرقة الناجية، ولكن للايمان والمعرفة بمرتبة النبوة والامامة وعظمة القرآن الكريم درجات عالية فائقة اخرى تستند الى دلائل وشواهد قطعية، رأيت من اللازم عليّ نشراً للحقائق والمعارف الآلهية كما هي، و لفضائل المظاهر الآلهية كذلك، أن أُعقّب على هذه النظرية، فأقوم بعرض تلك الأدلة المعارضة لهذه النظريةبصورة مشروحة حسب احاطتي وعلمي القاصر الناقص. ولله الكمال وحده.

***

وهن هذه النظرية:

ولنشرح أولاً وجه سخافة هذه النظرية فنقول:

أوّلاً: كأنّ صاحب هذه النظرية لم يفترض الرسول سوى آلة و واسطة لايصال الأمر وتبليغ الحكم، تماماً كمسجّلات الصوت، ولم يرَ من اللازم وجود تناسب وسخنية روحية بينه وبين المبادىء السامية للارتباط بالأرواح القدسية لتحصيل العلوم اللّدنيّة، وتلقى المعارف الآلهية الغيبية، ونزول الوحي ووقوع الالهام على قلبه. ولوكان كذلك لم يكن معنى لاشتراط أيّ جدارة ذاتية لحيازة أيّ منصب أو مقام. وعلى هذه النظرية الواهية والفرض المُحال يكون من المحتمل أن يكون النبيّ قد حصل على ذلك المقام العالي بنحو الصدفة وعلى سيل الاتفاق، وعلى الحظّ والنصيب كما يقال. ولكان ترجيحاً بلامرجّح. ولكان لازم هذا الرأي الواهي أن ما أمر به القرآن الكريم من التشريف اللائق والاحترام الفائق للرسول لغواً وعبثاً، وذلك من قبيل قوله سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا لاتقدّموا بين يدي الله ورسوله، واتّقوا الله، إنّ الله سميع عليم. يا أيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وانتم لاتشعرون. إن الذين يغضّون أصواتهم عند

رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى، لهم مغفرة وأجر عظيم. إن الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لايعقلون. ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم، والله غفور رحيم»[1] «النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم»[2] و «ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين»[3] و «لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً»[4].

ثانياً: لازم هذه النظرية أن يكون كل احكام الاسلام وأوامر الشريعة والدين محصورةبما تفيده ظواهر القرآن الكريم وما يستنبط منها.

فان أفاد صاحب النظريةبحلّ الاشكال بضميمة الآية الكريمة: «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»[5] فما بلغنا عن عترة الرسول في احكام الدين فهو بالاستناد الى ما أتانا بالنصّ الصريح المتواتر عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي» فقد أمرنا بالتمسك والاستناد الى مُفاد كلام العترة في امور الدين، وأمره صلى الله عله وآله يجب اتّباعه بنصّ القرآن الكريم، إذن فمقال الرسول وآله فيأمور شريعته يرجع الى القرآن الكريم.

نُجيب: بأنّ كلامكم هذا يدلّنا على أشتمالهم على مختلف الفنون من علوم الدين والدنيا. وذلك أن الأمر باتباعهم وطاعتهم يدل على أن لهم طريقاً للوصول الى الواقع و لشكف الستار عن وجه الحقيقة، ولو كان لهم طريق الى كشف الحقائق والوصول الى الواقع فيامور الدين والشريعة، فما يمنعهم عن أن يسلكوا نفس هذا السبيل الى رفع جهلهم بصورة مطلقة فيكشفوا عن

---

(١) الحجرات: ١ ـ ٥.

(٢) الاحزاب: ٣٣.

(٣) الاحزاب: ٤٠.

(٤) النور: ٦٣.

(٥) الحشر: ٧.

مختلف الفنون وكل أسرار الكون؟.

ثالثاً: يذعن صاحب النظرية بأن بيان المجملات من الآيات وتأويل المتشابهات منها وتطبيق كلياتها وقواعدها على الجزئيات والمصاديق، ليس من عمل كل أحد، بل ان ذلك على ذمة رسول الله أولاً، وبعده على عهدة عترته وأهل بيته المعصومين عليهم السلام.

وهذا الاذعان يفتح لنا باباً للاعتراض عليه بالقول: بانه لو بنى على ذلك الرأي قائلاً بحصر علم النبيّ والامام بظواهر القرآن الكريم، فلو كانوا ـ كما يقول صاحب هذه النظرية ـ متساوين مع سائر الناس في ظواهر القرآن الكريم؛ فمن أين اكتشفوا مجملات القرآن وحلّوا مشكلاته؟ ومن أين اطّلعوا على أسراره ورموزه؟ ولماذا نحن نعوّل على فهمهم له ونتكّل على بيانهم اياه؟!

رابعاً: صاحب النظرية «ره» ينتقد في موارد عديدة وبكل حدّة وشدّة، بل يكفّر أحياناً من يأوّلون ظواهر الكتاب الكريم أو يفسّرونه بآرائهم وأذواقهم الشخصية.

ومن العجيب أن ظاهر قوله سبحانه «**ما فرّطنا في الكتاب من شيء**»[1] ونظائره يدل على اشمال القرآن على جميع العلوم، وقواعد المحاورات انما تأذن لنا بالتأويل فيما اذا انسدّ علينا الطريق لترك معنى الكلام عى ظاهره، لمخالفته لحكم العقل والبرهان، أو الضرورة والوجدان. ولانشاهد في الآيات السابقة مورد البحث أي مخالفة لحكم العقل والبرهان أو الحسّ والوجدان، نعم تقصر عن دركه عقولنا. فما الموجب لصرفها عن ظاهرها وتأويلها الى مايخالف ظاهرها بل صريحها؟ بينما أثر عن الشيخ الرئيس ابن سينا قوله: «كلّ ما قرع سمعك من الغرائب فذره في بقعة الامكان، مالم يدُك عنه قائم البرهان»!

وما يذكره في ذيل كلامه من التنظير والتشبيه فيقول: كما أن بقراط أبا الطب لو قال: قدر ذكرت كل شيء في كتابي هذا «قرابادين» كان المراد كل مايرتبط بالطبّ وخواص الأدوية، لا كل

---

(١) الأنعام: ٣٨.

مسألة من كل علم حتى مسائل الحساب والهندسة.

هذا التنظير والتشبيه وجيه في الظاهر، ولكنّه بنظري سفسطة ومغالطة! إذ أنه قياس مع الفارق وتنظير غير مطابق: أليس هناك أيّ تفاوت بين متخصّص في فنّ خاص يؤلف كتابا ويقول عنه: كتاب هذا فيه كل شيء. وآخر بروفيسور في الحقوق والعلوم والفنون ويؤلف موسوعة ويقول مثل ذلك في كتابه؟ فلو أنزل الله الجليل العظيم، والذي جميع العلوم والفنون في كل العصور والقرون من الغابر حتى الحاضر، انما هي رشحة من بحر علمه الواسع، لو أنزل كتاباً على رسوله العظيم، وكرّر فيه وصفه له بأنه «ما من رطب ولا يابس الاّ في كتاب مبين»[1] فهل من الممكن أن نشبّه ذلك بكتاب «قرابادين» من بُقراط؟! صاحب الاختصاص بالطب فقط؛ والقارىء هو الحكَم، ومن الله توفيق الرشاد والسداد.

وقد قدّم البارعون من المحققين في كيفية انطواء جميع العلوم في القرآن الكريم، وفي كيفية استخراج واستنباط ذلك من القرآن الكريم، خدمات جُلّىٰ أو دعوها بطون الثقافة الاسلامية فخراً للمسلمين وموهبة لهم، بحوثاً أو دعوها في بطون كتبهم ومؤلّفاتهم. فعلى طلاّب الحقائق أن يراجعوا هذا الباب في «أصول الكافي»[2] وشرحه الشافي في «مرآة العقول» والمقدمة ٣ و ٧ من «التفسير الصافي».

علم النبيّ والامام:

ولندخل الآن في الموضوع الثاني من البحث أي: سعة دائرة علم النبيّ والامام بالنسبة الى جميع العلوم والفنون، وجميع الأسرار والرموز، من علم الظاهر والباطن، أي علم الدنيا والدين.

---

(١) الأنعام: ٥٩.

(٢) أصول الكافي: «باب الردّ الى الكتاب والسنة وأنه ليس شيء من الحلال والحرام وجميع ما يحتاج الناس اليه الا وقد جاء فيه كتاب أو سنة» وهو كما ترى. المعرّب.

وقبل الأخذ في ذكر الأدلة والبراهين، نشرح أصول العلوم على وجه العموم فنقول:

تنقسم العلوم حسب التقسيم الاوّليّ الى قسمين: العلوم النظرية، والعلوم العملية.

والعلم النظري ينقسم الى أربعة أقسام:

١ ـ العلم الآلهي، ٢ ـ العلم الرياضي، ٣ ـ العلم الطبيعي ٤ ـ العلم الأدبي.

والعلم الآلهي عبارة عن العلم بالمبدأ والمعاد.

والعلم الرياضي على أربعة أقسام:

١ ـ الحساب، ٢ ـ الهندسة، ٣ ـ الفلك، ٤ ـ الموسيقي والايقاعات.

وأصول العلم الطبيعي على ثمانية أقسام:

١ ـ النجوم، ٢ ـ الفيزياء، ٣ ـ الكيمياء، ٤ ـ الطب، ٥ ـ التشريح، ٦ ـ الجيولوجيا أو طبقات الأرض، ٧ ـ علم النبات، ٨ ـ علم النفس.

وأصول العلوم الأدبية ستة:

١ ـ القراءة والتجويد، ٢ ـ علوم اللغات، ٣ ـ النحو والصرف، ٤ ـ المعاني والبيان من علوم البلاغة، ٥ ـ الخطابة والوعظ، ٦ ـ العروض والتوالي.

وما يتعلق من العلم العملي باصلاح المعاش ثلاثة:

١ ـ تهذيب الأخلاق، ٢ ـ سياسة الأسرة، ٣ ـ سياسة البلاد.

وما يتعلق باصلاح المعاد ثلاثة أيضاً:

١ ـ علم الاعتقاد، ٢ ـ تهذيب النفس، ٣ ـ السلوك العرفاني.

وانما قلنا أُصول العلوم على وجه العموم إذ فروعها كثيرة لامجال لنا لتعدادها.

***

وهنا نبدأ بذكر شواهد من علوم الأئمة عليهم السلام، وإذا ثبت لنا علم الائمة عليهم السلام

من خلال هذه الشواهد ثبت لنا علم النبيّ بطريق أولى، ذلك أن الامام فرع النبيّ وجوداً وعلماً ومقاماً.

نموذج من العلم الآلهي:

إنّ في «شرح نهج البلاغة» لابن ميثم البحراني، و «شرح أُصول الكافي» لصدر الدين الشيرازي، و«حق اليقين» للمحدث المجلسي، و« علم اليقين» و«عين اليقين» للمحدث الفيض الكاشاني، من ذلك الشيء الكثير الكثير، ونحن هنانكتفي بذكر كلمة من كلام سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بين أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام قد أعجب الحكيم الآلهي المحقق السبزواري، حيث قال في خطبته المعروفة بجوامع التوحيد:

«توحيده تمييزه عن خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة، لابينونة عُزلة»[1].

فقال السبزواري ما خلاصته: كما أن جميع أفراد البشر أولاد أبيهم آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام، كذلك كل العقول والعلوم الانسانية بالنسبة الى علم علي عليه السلام كأنه أولاده ونتاجه.

***

(١) لم أجده في نهج البلاغة ـ المعرب.

الأدلة الحيّة على:

علم الأنبياء والأئمة

بالعلوم المادية

علم الامام بالحساب والأرقام:

جاء رجل يهودي له خبرة ومهارة في علم الحساب الى أمير المؤمنين علي عليه السلام ليختبره في الحساب بأن يسأله مسألة مشكلة، فصادف أن كان أمير المؤمنين قد وضع احدى رجليه في الركاب، ومع ذلك لم يتركه اليهودي دون أن يسأله مسألته فقال: أخبرني عن عدد يكون له نصف وثلث و ربع وخمس وسدس وسبع وثمن وتُسع وعُشر، من دون أن يبقى له كسر.

فقال له علي عليه السلام: إن أخبرتك تُسلم؟ قال: نعم. قال عليه السلام:

اضرب أيام أسبوعك في ستك.

فلما تحققّ المسألة وكانت صحيحة ولم يبق كسر من العدد، أسلم[1].

وهذه المسألة تعرف بالمسألة الركابيّة.

وتعنى: ضرب أيام الأسبوع السبعة في أيام السنة: ثلاثمئة وستين يوماً، فيكون حاصل الضرب كما يلي: ٢٥٢٠ فنصفه: ١٢٦٠ وثُمنه: ٣١٥ وتُسعه: ٢٨٠ وعُشره ٢٥٢ . ولا يبقى للعدد كسر.

---

(١) عن كشكول الشيخ البهائي. وفي قضاء أمير المؤمنين عليه السلام: ١٢١ للشوشتري عنه.

وهناك مسائل اخرى تدل على براعته في علم الحساب والجبر والمقابلة تعرف: بالمسائل: الدينارية، والمنبرية، والرغيفية، والبعيرية، والبثرية وغير ذلك.

ومن علمه بالهندسة:

روى الشيخ الصدوق في «كتاب من لايحضره الفقيه» بسنده عن النضر بن سويد قال: إن رجلاً حلف أن يزن فيلاً. فقال صلوات الله عليه: يُدخل الفيل سفينة ثم يُنظر الى موضع مبلغ الماء من السفينة فيُعَلَّم عليه، ثم يُخرج الفيل، ويُلقى في السفينة حديداً أو صفراً أو ماشاء فاذا بلغ الموضع الذي عُلِّم عليه أخرجه ووزنه[1].

وروى الشيخ الطوسي في «التهذيب» قال: قال رجل لأمير المؤمنين: إني حلفت أن أزن الفيل. فقال: لِمَ تحلفون بما لاتطيقون؟ فقال: قد إبتليت. فأمر عليه السلام بقرقور (سفينة) فيه قصب فأخرج منه قصب كثير، ثم عُلِّم صبغ الماء بقدر ما غُرِّف صبغ الماء قبل أن يُخرج القصب، ثم صُيِّر الفيل فيه حتى رجع الى مقداره الذي كان انتهى اليه صبغ الماء أولاً، ثم أمر بوزن القصب الذي أُخرج. فلما وُزن قال: هذا وزن الفيل[2].

علم المعصوم بالجغرافية:

من وظائف المسلمين معرفة القبلة وهي الكعبة المعظّمة في مكة المكرمة في الحجاز من شبه جزيرة العرب، فانه شرط صحة صلواتهم وحلّية ذبائحهم. وحسب اختلاف المناطق طولاً وعرضا وشمالاً وجنوباتختلف القبلة اختلافاً كبيراً، وتتوقف معرفته على علم الهيئة والفلك والجغرافية.

---

(١) كتاب من لايحضره الفقيه : ٣١٩ وعنه في البحار ٤٠: ٣١٦.

(٢) رواه عنه في المناقب ٢ : ٥٠، وعنه في البحار ٤٠: ١٦٦.

وكانت قبلة مسجد النبيّ المدينة الطيّبة عُيّنت بتعيين من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد تغيير القبلة من المسجد الأقصى الى المسجد الحرام في منتصف السنة الثانية بعد هجرته صلى الله عليه وآله وسلم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة، على نقطة الجنوب تماماً بلا انحراف عنها.

وفي أوائل عهد العباسيّين حيث تُرجمت كتب العلوم اليونانية الى العربية ومنها كتب الهيئة اليونانية وهي هيئة بَطْلَميوس، سادت هذه الهيئة بين المسلمين. وكانت نقطة البدء في تعيين خطوط طول البلاد في تلك الهيئة جزيرة «فرو» من الجزُر المساة بالخالدات.

وعلى تلك الأصول والمبادي كانوا يرون طول مكة المكرمة ٧٧ درجة و ١٠ دقائق وعرضها ٢١ درجة و ٤٠ دقيقة. وطول المدينة ٧٥ درجة و ٢٠ دقيقة و عرضها ٢٥ درجة فقط. وعليه فطول المدينة اقل من طول مكة المكرمة بدرجتين و ١٠ دقائق بينما يزيد عرض المدينة على عرض مكة المكرمة بثلاث درجات و ٤٠ دقيقة وحيث أن قانون الهيئة يقتضي أن أيّة مدنية كان طولها أقل من مكة وعرضها اكثر منها مثل المدينة المنورة، فلا تحصل مواجهة القبلة من تلك المدينة الاّ اذا انحرفنا فيها عن نقطة الجنوب الى جهة المشرق بازاء كل درجة من الطول عشرة الى ١٢ درجة بحسب اختلاف الأفق في المناطق. لهذا كانوا يحكمون بأن قبلة المدينة المنورة تنحرف عن نقطة الجنوب الى جهة المشرق ٢٧ درجة. في حين أن المحراب المبارك كان ـ ولايزال ـ مواجهاً لنقطة الجنوب تماماً من دون أي انحراف. وكانوا ينظرون الى قبلة المسجد النبويّ في المدينة الطيّبة غير منطبقة على قواعد علم الهيئة، حيث أنها بحسب قواعدهم يجب أن تكون منحرفة عن نقطة الجنوب الى جهة المشرق ٢٧ أو ٢٨ درجة، بينما كانت نقطة الجنوب هي القبلة الثابتة والمسّلم بها للمسجد النبويّ الشريف.

فالمحراب الذي عيّنه الرسول المعصوم وبُنى بنظره وتحت اشرافه، كان أمارة شرعية وعلامة معتبرة لتعيين القبلة، من دون أن يُتصور فيها أيّ شبهة أو إشكال. وعلى هذا فكيف

يمكن لأصحاب الهيئة في الاسلام أن يدعنوا بانحراف قبلة المسجد؟ اللهم إلاّ أن يتخلّوا عن عقيدتهم بعصمة الرسول الكريم!.

كانت هذه العويصة في العصور السالفة كبرى بين علماء المسلمين، حتى أنّ المرحوم المحدّث المحقّق المجلسي «ره» كان من المواضيع التي فرض على نفسه التحقيق فيه هو موضوع البحث أي انحراف قبلة المدينة المنورة. وبعد تشرّفه بها عمل كل ما بوسعه من التحقيق والدراسة حول الموضوع ولكنه لم يصل الى أيّ نتيجة، فلم يتمكّن أن يوفّق أو يلائم فيما بين قبلة المسجد النبويّ الشريف و بين قواعد الهيئة القديمة التي كان يظنّها طِلِسْما لاينكسر! وبالتالي احتمل قويّاً ـ ومضطرّاً ـ أن تكون يد متعمّدة أو خاطئة قد عملت في العمارات المتعاقبة على المسجد في زمن الخلفاء العباسيّين، فحرّفت القبلة عن الموضع الأصلي على عهد النبيّ الى ماهي عليه اليوم وبومئذٍ، من دون أن يتصور أو يحتمل الخطأ في قواعد الهيئة والجغرافية القديمة!.

في حين أن هذا هو الواقع والحقيقة، فقد نشأ خطأ القدماء في هذا الحكم من أنّهم زعموا أن طول المدينة أقل من طول مكة المكرمة، وقد أخطأوا في زعمهم هذا وغلطوا لأنهم لم تكن بأيديهم مقاييس وأدوات دقيقة لتعيين طول البلدان وعرضها، بينما علماء الهيئة والجغرافيا اليوم قد حدّدوا أطوال البلدان وعرضها بمقاييس دقيقة حتى المتر ونصفه بل السانتيم والمليم، فعثروا ضمن ذلك على حقيقة تساوي البلدين مكة والمدينة تقريباً في خطّ الطول، وكان مبدأ الطول لدى القدماء جزيرة «فرو» من الجزر المسماة بالخالدات، وهوى لدى المتأخرين مرصد «گرينج» في لُندن، وقد حاسبوا ذلك على التقديرين فكان طول البلدين متساوياً تقريباً كما يلي:

طولهما على مبدأ جزيرة فرو: ٥٧ درجة و٥٧ دقيقة و٥ ثواني.

وطولهما على مرصد گرينج: ٣٩ درجة و ٥٠ دقيقة فقط.

فعلى أي تقدير يكون طول البلدين متساوياً تقريباً، وحسب قواعد الهيئة بالنسبة الى مكة المكرمة، فقبلتها تكون نفس نقطة الجنوب، كما هي عليه في المسجد النبوي الشريف ومحرابه

صلى الله عليه وآله فيه.

و بهذا عُلم أن رأي القدماء بانحراف قبلة المسجد ومحرابه كان خطأ ووهماً، ووجود هذا المسجد والمحراب أثر قيّم وشاهد كبير لاثبات علم المعصوم بالهيئة والنجوم.

ومن نماذج الاشارات العملية الجغرافية ما خاطب به أمير المؤمنين علي عليه السلام أهل البصرة بعد حرب الجمل لاتماً لهم بما جاء في «نهج البلاغة» قوله عليه السلام: «أرضكم قريبة من الماء بعيدة عن السماء»[1].

لقد خضع علماء الهيئة وأساتذة المراصد لهذا الكلام الكريم من ذلك الامام العظيم، وصدّقوا به على قواعد الهيئة ومقاييس المراصد، وعرفوا أن البصرة هي أغور وأبعد نقطة عن دائرة معدّل النهار. حتى لقد كتب عبدالحميد بن أبي الحديد المعتزلي البغدادي وهو من علماء المذهب الشافعيّ من العامة، كتب في شرح هذا المقال يقول: «أما قوله عليه السلام: «بعيدة من السماء» فان أرباب علم الهيئة وصناعة التنجيم يذكرون أن أبعد موضع في الأرض عن السماء الأُبلّة وذلك موافق لقوله عليه السلام. ومعنى البعد عن السماء هاهنا هو بعد تلك الأرض المخصوصة عن دائرة معدّل النهار، والبقاع والبلاد تختلف في ذلك. وقد دلّت الأرصاد والآلات النجومية على أنّ أبعد موضع في المعمورة عن دائرة معدّل النهار هو الأُبلّة، ومن الأُبلّة هي قصبة البصرة.

قال: وهذا من خصائص أمير المؤمنين عليه السلام لأنه أخبر عن أمر لا تعرفه العرب و لاتهتدي اليه، و هو مخصوص بالمدققين من الحكماء، وهذا من أسراره وعجائبه البديعة»[2].

ومن علم المعصوم بالنجوم:

روى ابن شهر آشوب في «المناقب» عن قيس بن سعد قال: استقبل أمير المؤمنين دهقان[3]

---

(١) نهج البلاغة : الخطبة ١٤١ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٦٨ .

(٣) دهقان : معرّب عن الفارسية : دهگان، عميد القرية.

يُدعى مرجان بن شاهسوا وشايعه من المدائن الى جسر بوران[1] فقال له: يا أمير المؤمنين، تناحست النجوم الطالعات، وتناحست السعود بالنحوس، واذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء. ويومك هذا يوم صعب قد اقترن فيه كوكبان، وانكفى فيه الميزان، وانقدح من برجك النيران، فليس الحرب لك بمكان.

فقال أمير المؤمنين: يا أيها الدهقان المُنبيء بالآثار المُخوِّف من الأقدار، ماكان البارحة صاحب الميزان؛ وفي أيّ برج كان صاحب السرطان؟ وكم الطالع من الأسد والساعات في الحركات؟ وكم بين السراري والذراري؟

قال المنجّم: سأنظر في الاسطرلاب.

فتبسم أميرالمؤمنين وقال له: ويلك يا دهقان، أنت مسيّر الثابتات؟ أم كيف تقضي على الجاريات؟ وأين ساعات الأسد من المطالع؟ وما الزهرة من التوابع والجوامع؟ ومادور السراري المحركات؟ وكم قدر شعاع المنيرات؟ وكم التحصيل بالغدوات؟

فقال: لا علم لي بذلك يا أمير المؤمنين!

فقال له: يا دهقان، هل نتج علمك أن انتقل بيت مُلك الصين؟ و احترقت دور بالزنج؟ وخمد بيت نار فارس، وانهدمت منارة الهند، وغرقت سراديب، وانقضّ حص الأندلس، ونتج بطرك الروم بالرومية.

وفي رواية: البارحة وقع بيت بالصين، وانفرج برج ماجين، وسقط سور سراديب، وانهزم بطريق الروم بأرمينية، وفقد ديّان اليهود بأيلة، وهاج النمل بوادي النمل، وهلك ملك افريقية، اكنت عالماً بهذا؟

أظنّك حكمت باختلاف المشتري وزُحل، إنما أنار لك في الشفق ولاح لك شعاع المرّيخ في السحر، واتصل جرمه بجرم القمر.

---

(١) بوران دُخت بنت أنوشيروان.

البارحة سعد سبعون ألف عالَم، و وُلد في كل عالَم سبعون ألفاً، والليلة يموت مثلهم، وهذا منهم . وأومأ بيده الى سعد بن مسعدة الحارثي وكان جاسوساً للخوارج في عسكره ـ فظن الملعون أنه يقول: خذوه! فأُخذ بنفسه فمات. فخرّ الدهقان ساجداً. فلما أفاق قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ألَم أُروّك من عين التوفيق؟! فقال: بلى.

أما قولك: «انقدح من برجك النيران» فكان الواجب أن تحكم به لي لا عليّ. أما نور، وضياؤه فعندي، وأمّا حريقه ولهبه فذهب عنّي. وهذه مسألة عميقة إحسبها إن كنت حاسباً.

فقال الدهقان: أشهد أن لا إلٰه الا الله وأنّ محمداً رسول الله وأنك ولي الله[1].

علم الامام بالاحكام الفلكية:

حتى القرن السابع عشر الميلادي لم يكن بين العلماء أي شيء عن حركة الأرض، ولم يكن أحد قد تنبّه الى ما في كلمات أئمة الاسلام من الرموز والاشارات الى ذلك. وبعد أن ارتفع هذا الصوت من القارة الاوروبية تفتحت عيون علماء الشرق الى أن أمير المؤمنين عليه السلام قد صرّح بذلك في احدى خطبه كما في «نهج البلاغة» يقول: « وعدّل حركاتها بالراسيات من جلاميدها».

فعلق للمرحوم السيد هبة الدين الشهرستاني في كتابه «الهيئة والاسلام» عليه يقول: «إن حكماء عصرنا يذكرون لكرة الأرض خمس حركات مختلفة وهي المشهورة. وحكى «فولكس ورنه» عنهم «القول بأحد عشر حركة» وقد انتخبت من كتبهم حركات ثمانية:

الحركة المحورية، والحركة الشتوية والحركة الاقبالية، وحركة نقطتي الأوج والحضيض، وحركة تقويم الاعتداليين: الربيع والخريف، وحركة الارتعاش الشمسي، والحركة التبعية».

وفي خطبة اخرى قال عليه السلام: «جعلت الجوّ المكفوف مغيضاً لليّل والنهار ومجرى

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢ : ٥١، ٥٢.

للشمس والقمر، ومختلفاً للنجوم والسيّارات»[1].

وشرحه الشهرستاني فقال: «لمغيض: موضع يمصّ الماء ويبلعه، فكأنّه عليه السلام استعار لفظ الليل والنهار لمعنى النور والظلام، وشبّه انعدام ضوء النهار في الجوّ ليلاً، وكذا انمحاء ظلام الليل فيه نهاراً بمص الجوّ وابتلاعه للظلام والضياء ويظهر من هذا التعبير ما استكشفه المتأخّرون بآلة «سبكترسكوب» وغيرها أنّ الهواء أو الجوّ يشرب ويمصّ من النور ما يقتضيه طبعه ويمجّ الباقي الينا. وقد فتح عليهم هذا الباب ألف باب من العلم، وربما كان هذا وأشباهه من فروع هذه الأبواب التي يتكشف الحكيم منها ألف باب. وأيم الله إن المتأمّل في كلمات علي عليه السلام بعد اطّلاعه على فنون الفلسفة تنفجر عليه ينابيع الحكمة ويصدق عندئذ من قال: «ان كلام علي عليه السلام دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق».

فهذا الكلام يُصرّح أو يشير الى اربعة اكتشافات مهمة في العصر الحاضر:

١ ـ وجود الجوهر السيّال التي هي مادّة الموادّ وحاملة النور، وموضع دورة السيّارات، ولها اسماء مختلفة: ففي اوربا تسمى بالأثر، وفي العرب بالأثير والجو المكفوف، والبحر المكفوف، والموج المكفوف، والماء المكفوف، والدخان.

٢ ـ إشتمال الأثير على كمّية من نور النيّرين: الشمس والقمر، وسائر الكواكب في الليل والنهار، ويستفاد هذا من جملة «مغيضاً لليل والنهار».

٣ ـ حركة الشمس بخطّ افقيّ نحو نجمة النسر الواقع «وايكا».

٤ ـ حركة القمر ضمن المجموعة الشمسية نحو نفس نجمة النسر الواقع «وايكا».

وقد رفع الستار عن وجه رموز الآيات القرآنية الكريمة قادة الاسلام، بشأن هذه العلوم الفلكية، فأغنونا عن المقال في هذا المجال، جزاهم الله عن الاسلام خيراً.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١١٦.

أئمة الاسلام والموسيقى:

إن تحريم الموسيقى في الاسلام بلسان النبيّ والامام ليشهد بعلمهم التام بآثاره ومضارّه:

كتبت المجلة الاسبوعيةالايرانية «نور دانش (نور العلم) العدد ١ من السنة ٢٧ صفحة ٨» تقول: التفت طبيب أمريكي ضمن بحثه عن علل ارتفاع ضغط الدم والشايع في عالمنا اليوم، الى البحث عمّا قد يكون للبرامج الموسيقية التي تبثها الاذاعات والتفزيونات من الضرر والأثر في رفع ضغط الدم، ولما شدّ على نفسه وسائل الاكتشاف والتجربة وفتح صوت الموسيقى من المذياع توصّل الى نتائج رابعها وهو أخيرها: أنّ لانتشار الموسيقى من الأثر في رفع ضغط الدم فيه ماكان يهدّد صحته وسلامته وعافيته حقيقة.

وقد أثبت الدكتور البروفيسور الأمريكي «أدلر» بكثير من الاصرار أنّ لأعذب الألحان الموسيقية أسوأ الأضرار على شبكة أعصاب الانسان، ولاسيما في الفصول الحارة والمناطق الحارة كشبه الجزيرة العربية وبعض مناطق ايران. وقد أثرت اكتشافات هذا الطبيب المذكور في تقليل الاستماع الى الموسيقى فيأمريكا حتى حرّم كثير منهم الموسيقى على نفسه[1].

الامام وعلم الفيزياء:

بيّن علماء الفيزياء من خلال تجاربهم الفنيّة وبحوثهم الطويلة فوائد النور والضياء و مايصل الى الانسان من نتائجه العجيبة. وقد اكتشفوا ضمن بحوثهم أنّه ليس من الصحّي أن يقرأ الانسان الخطوط عند غروب الشمس ولا أن يكتب ولا أن يخيط، ويجب أن يكون النور في الليل كافياً لذلك، ويجب أن تُبنى صفوف الدراسة في المدارس بحيث يستفاد من الضوء الطبيعي اكثر قدر ممكن.

ويأيدينا نفس هذه التوصيات عن النبيّ والامام كما جاء في الأخبار:

---

(١) نقلاً عن منشورات جمعية التبليغ الاسلامي، العدد ٨.

«من أحبّ كرميناه (عينه) فلا يكتب بعد العصر».

وقد حرّم الاسلام الاسراف في كل شيء الاّ في السراج فقال «لاإسرف في السراج».

وقد أثبت العلماء أن اللون الأحمر يضرّ البشر، واللون الأخضر ينفعه، وقالوا: لو كان لون النباتات أحمر لكان يجنّ أكثر البشر بأقل من شهر!.

ولي أخبارنا عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام استحباب اللون الأخضر وكراهة الأحمر.

فالتوصيات التي تقدم بها العلماء اليوم على أثر تجاربهم الطويلة وبعد اكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان عن عهد صدر الاسلام، كانت من احكام قادة الاسلام معلومة عندهم ومكشوفة لهم ولأتباعهم من خلال احكامهم وأحاديثهم.

الامام وعلم الكيمياء:

كتب المؤرخ الشهير ابن خلكان في موسوعته: «وفيات الأعيان» في ترجمة الامام الصادق عليه السلام قال: إنه أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب الشيعة الامامية، وكان من سادات أهل البيت، ولُقِّب بالصادق لصدقه في مقالته. وفضله أشهر من أن يذكر. وله كلام في صناعة الكيمياء والقال والزجر! (كذا) وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألّف كتاباً يشتمل على ألف ورقة تشتمل على خمسمئة رسالة من رسائل جعفر بن محمد الصادق.

وقد رأيت قبل مدة في احدى الجرائد: أن الغربيّين قد عثروا على ستين رسالة من هذه الرسائل في الكيمياء والفيزياء والاصطرلاب وجرّ الأثقال، فترجموها الى لغاتهم وأفادوا منها افادة كثيرة[1].

***

(١) وراجع كتاب: الامام الصادق ملهم الكيمياء، طبع القاهرة.

الامام وعلم الطّبّ:

لقد نوّه النبيّ والأئمة عليهم السلام بأصول الطبّ من خلال احكام الطهارة والنظافة وحفظ الصحة، وفي كتاب الأطعمة والأشربة في الفقه، وفي آلاف الأخبار عنهم عليهم السلام في خواص النباتات وكيفية العلاج، عن النبيّ والأئمة المعصومين، حتى انتشر من ذلك بين المسلمين كتاب «طب النبيّ» ورسالة «الاهليلجية» في فوائد السموم التي بيّنها الامام الصادق للطبيب الهندي. ومن شواهد ذلك «الرسالة الذهبية» التي كتبها الامام الرضا عليه السلام للخليفة العباسيّ المأمون بشأن حفظ الصحة والوقاية وبعض العلاج. وهناك كتاب آخر باسم «طبّ الرضا» عليه السلام.

ومما كُتب أخيراً ويليق بالتقدير والتمجيد كتاب جديد كتبه الدكتور نصيري «بالفارسية: بهداشت دراسلام (الصحة في الاسلام)»، وجمع من هذه الشواهد الشيء الكثير.

الامام وعلم وظائف الأعظاء:

جاء عن الامام علي عليه السلام في بعض خطبه كما في «نهج البلاغة» قوله في تشريح العين والأذن: «اعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم، ويسمع بعظم، ويتنفّس من خَرْم»[1].

وفي العصور القديمة حيث كان علم وظائف الأعضاء والتشريح يعيش طفولته ولم يبلغ رشده ونبوغه اليوم، كان منشأ السماع الصماخ كما كان يظنّ الأطبّاء وعلماء التشريح في تلك العهود، وحينما كانوا يواجهون بهذا الكلام للامام عليه السلام كانوا يعترفون بالقصور عن فهمه ولا يجراؤون على ابراز الخلاف في ذلك.

كتب المرحوم الحاج فرهاد ميرزا القاجاري في ذكريات سفر حجّه أنه في إحدى المجالس في مدينة اسطنبول التركية كان أحد الأطباء المعروفين يحدّث الحاضرين عن الاكتشافات

---

(١) نهج البلاغة، قصار الحكم: ٨.

الحديثة في علم الطبّ، وبصدد بيان إحدى هذه الاكتشافات قال: كان الطبّ حتى اليوم يجهل محلّ القوة السامعة، واليوم كشفت الخدمات الطبّية لعلماء الغرب هذه الحقيقة وتبيّن أن هذه القوة في عظام رقيقة دقيقة تحت ستار الصماخ على هيئة الركاب والسندان، ولا تختل قوة السماع مالم يختل ذلك العظمان «المطرقة والسندان».

يقول فرهاد ميرزا: فقرأت عليه هاتين الفقرتين من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وفسّرتهما له، ونسبت هذا الكشف في الاسلام الى ما قبل ألف عام! فتعجّب الطبيب كثيراً وقال: لم يكن القدماء يعرفون التشريح الحديث ولا كانت لهم الأدوات اللازمة لكشفه، ولم يصدّق، حتى أثبتّ له أن كتاب «نهج البلاغة» الذي يحتوي على هذه الكلمات قد كتب قبل أكثر من ثمانمئة سنة، وقد طبع قبل اكثر من مئة سنة[1] حتى اضطّر الى الاذعان بذلك، وطلب منّي أن اكتب له العبارة مع ترجمتها بالتركية، فكتبت له وأعطيته.

وقد روى عن الامام الحسين بن علي عليه السلام دعاء ليوم عرفة في عرفات، وفيها فقرات في تشريح أعضاء الانسان، بما لو أراد الطبيب الجرّاح أن يشرحه لكان عليه جهد كثير من القراءة والمطالعة والتأمّل[2].

الامام وعلمه بالميكروب:

الأخ القائم بأعمال جمعية التبليغ الاسلامي «دام بقاه» استنبط من أحكام القرآن الكريم وسنة الرسول العظيم والأئمة الطاهرين كثيراً من الفلسفات التي تتوقف على العلم بحقيقة الميكروبات

---

(١) هذا الحديث من قبل اكثر من مئة سنة أيضاً، فان فرهاد ميرزا هو عمّ الملك القاجاري الايراني ناصر الدين شاه، وهو حاكم محافظة كرمانشاه، وهو باني صحن الاماميين الكاظمين عليهما السلام وهو مدفون في الحجرة على يمين باب المراد من ذلك الصحن الشريف. المُعرّب.

(٢) ومن أراد التفصيل في مثل ذلك فعليه بكتاب: من أمالي الامام الصادق(ع) للطبيب الحكيم الشيخ ميرزا محمد صادق الخليلي النجفي «ره» ـ المُعرب.

وفق المكتشفات اليوم وقام بنشر ذلك في منشور الجمعية «العدد ٨» وهو يثبت فيه أن التقدم العلميّ والفنيّ اليوم قد كشف النقاب عن كثير من أسرار الاحكام ورموز الأمور الشرعية.

من ذلك أن الخلاف كان قائماً على قدم وساق بين الأطبّاء في اوربا في تشخيص ميكروب الوباء «الكوليرا» و مواضع تكوّنه، حتى استقرت آراؤهم أخيراً على موضع تكوّنه على الاكثر في المياه الآسنة والموبوءة. بينما لهذه الحقيقة في الاسلام سابقة تمتد الى اكثر من ثلاثة عشر قرناً حيث يقول الامام السجّاد زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام في الدعاء ٢٧ من «الصحيفة السجّادية»: «وامزج مياههم بالوباء وأطعمتهم بالأدواء».

ويستفاد من الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام بشأن مياه الحمّامات أنها في زمن الأئمة عليهم السلام كانت على شكل خزّان كبير من الماء الساخن وحوله أحواض صغرى ترتبط بالخزّان الكبير بأُنبوب، فكان الشخص يفتح الانبوب على الحوض الصغير ويستعمل الماء، فكان يبقى شيء من الماء أحياناً في الحوض، فالذي كان يأتي بعده إن كان نظيفاً متأنقاً كان يُفرغ الماء الباقي ويستعمل ماءً جديداً، أما لو كان بلا مبالاة لم يكن لديه مانع من استعمال الغُسالة الباقية. وسُئل عن هذا أئمتنا عليهم السلام فكانوا ينهون عن ذلك، فعن الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال: «من اغتسل من الماء الذي اغتُسل منه فأصابه الجذام فلا يلومنّ الا نفسه».

الامام وعلم طبقات الأرض:

بلغنا أمر عن الأئمة الاطهار عليهم السلام في كتاب الطهارة من كتب الفقه: أن نباعد بين بئر الماء للشرب و بين البئر لقاذورات الكنيف، وأن لانقارب بينهما، وأن يجعل الفاصل بينهما سبعة أذرع فمازاد حتى لا تسري مياه الكنيف الى مياه الشرب، الا أن يكون بئر الماء على شمال بئر الكنيف فيكفي أن يكون الفاصل خمسة أذرع فقط و ذلك «لأن مجاري العيون من مهبّ الشمال».

ولعلّ السرّ الطبيعيّ لذلك كثرة تساقط الثلوج وهطول الأمطار في طرف الشمال، وبدهي أن اكثر العيون والمياه الجوفية من تزير الثلوج والأمطار، والقسم الشمالي من الأرض هو الاكثر ارتفاعاً عن القسم الجنوبي، وبالتالي فكل قناة تحفر من جهة الشمال الى طرف الجنوب اكثر افادة مما يُحفر من الجنوب الى الشمال.

علم الامام والفلسفة:

روى ابن شهرآشوب في «المناقب» قال: سُئل علي عليه السلام عن العالَم العُلوي فقال: صُور عاريةعن المواد، وعالية عن القوة والاستعداد تجلّى لها فأشرقت، وطالعها فتلألأت، وألقى في هويّتها مثاله فأظهر عنها أفعاله. وخلق الانسان ذانفس ناطقة إن زكاها بالعلم فقد شابهت جواهر أوائل عللها، واذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد[1].

وقال عليه السلام في ذلك أيضاً: «أليس من اعتدل طباعه صفى مزاجه، ومن صفى مزاجه قوي أثر النفس فيه، ومن قوي أثر النفس فيه سما الى ما يرتقيه، و من سما الى ما يرتقيه فقد تخلّق بالأخلاق النفسانية، ومن تخلّق بالأخلاق النفسانية فقد صار موجوداً بما هو انسان دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان، ومن صار موجوداً بما هو انسان فقد دخل في باب الملك الصوري، وليس له عن هذه الغاية مَعْبرٌ».

الامام وعلمه باللغات:

روى ابن الحريري البصري في «درّة الغوّاص» وابن فياض المصري في «شرح الأخبار»: أن الصحابةقد اختلفوا في «الموؤدة» فقال لهم علي عليه السلام: «انها لاتكون موؤودةحتى يأتي عليها التارات السبع» وأراد بذلك ما في قوله «ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين» ثم

(١) مناقب آل أبي طالب ٢ : ٢٩ .

جعلناه نطفة في قرار مَكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً ثم كسونا العظام لحماً»[1] فأشار عليه السلام الى أن الموؤودة لاتكون موؤودة حتى تستهل بعد الولادة ثم تدفن والا فليست موؤودة[2].

وروى ابن شهر آشوب أيضاً أن ابنة يزدجرد الساساني الملك الايراني لما جيء بها سبيّة الى المدينة عند الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، خاطبها أمير المؤمنين عليه السلام فسألها عن اسمها: ما اسمك؟ قالت: جهان بانو فأجابها بالعجمية قال: بل شهربانو[3].

وروى القمي في«بصائر الدرجات» عن سعد القمي قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام حين أتى أهل النهروان نزل قطقطا فاجتمع اليه أهل بادوريا فكلموه بالنبطية قالوا: إن لهم جيراناً أوسع أرضاً منهم وأقل خَراجاً وشكوا اليه ثقل خراجهم. فأجابهم بالنبطية قال: زعرا وطائه من زعرا رباه. ومعناه: دُخنٌ صغير خير من دُخن كبير[4].

الامام وعلم العربية:

واضع النحو هو الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لأنهم يروونه عن الخليل بن أحمد الثقفي، عن عبدالله بن اسحاق الحضرمي، عن أبي عمرو بن العلاء، عن ميمون الأقرن، عن عنبسة الفيل، عن أبي الأسود الدؤلي، عنه عليه السلام.

واختلفت الأخبار في سبب ذلك، وعلى أي وجه كان فقد أملاه على كاتبه أبي الأسود الدؤلي البصري وقال له: ما أحسن هذا النحو، فسمّى نحواً.

---

(١) المؤمنون: ١٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٩.

(٣) المصدر: ٥٦.

والاولى تعني: سيدة العالَم. والثانية تعني: سيدة البلد. ولعله عدل الى الثاني احتراماً ليسدة النساء فاطمة(ع) - المُعرب.

(٤) المصدر: ٥٥.

وكانت الرقعة الاولى: الكلام ثلاثة أشياء: اسم و فعل وحرف جاء لمعنى. فالأسم ما أنبأ عن مسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أوجد معنى في غيره[1].

الامام وعلوم البلاغة:

قال الشريف الرضي: كان أمير المؤمنين مَشْرع الفصاحة ومَوْدها، ومنشأ البلاغة ومَوْلدها، ومنه ظهر مكنونا وعنه أخذت قوانينها.

اشتهار أمير المؤمنين بالفصاحة والبلاغة وامتيازه بهما أظهر من الشمس و أبين من أمس. ونموذج ذلك كتاب «نهج البلاغة» جمع فيه السيد الرضيّ حسب احاطته ووسع تتبّعه منتخبات من خطبه وكتبه وكلماته. فخضع العدوّ لذلك والصديق مما يُغنى عن التحقيق.

الامام والشعر والعروض:

ومن داره خرجت العروض، فقد نُقل أن الخليل بن أحمد الفراهيدي أخذ رسم العروض عن رجل من أصحاب علي بن الحسين أو محمد بن علي الباقر عليهما السلام فوضع له أوصولاً وقواعد.

وقال الجاحظ في كتابه في فضائل بني هاشم وفي كتابه «البيان والتبيين» والبلاذري في كتابه «أنساب الأشراف»: أن كلاً من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كانوا يقولون الشعر ولكن كان علي أشعر الصحابة وأفصحهم وأخطبهم واكتبهم[2].

ويكفينا نماذج شعره المرتجل: أن عمرو بن عبدوَدّ العامري ارتجز يوم الخندق قال:

ولقد بححت من النداء بجمعكم: هل من مبارز

ووقفت اذ جبن الشجاع مواقف القِرن المناجز

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢: ٣٦ و ٣٧.

(٢) المصدر: ٣٨، ٣٩.

انـي كـذلك لم أزل متـرّعـاً نـحو الزاهـز

إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فبرز اليه علي عليه السلام وأجابه ارتجالاً قال:

لاتعجلنّ فقد أتاك مجيب صوتك غير عـاجز

ذونـية وبـصيرة والصـدق يـنجي كـل فـائز

إني لأرجـوا أن أُقـيم عـليك نـائحة الجنـائز

من ضربة نجلاء يبقى صيتهـا عـند الهـزاهـز

***

وعن علمه بالقراءات:

إن علياً عليه السلام في قراءة القرآن الكريم بحيث أن قراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي الاصفهاني، وهي أشهر القراءات واكثرها قبولاً و رواجاً بين المسلمين مأخوذ عن علي عليه السلام ومستند اليه، لانه تلميذ أبي عبد الرحمن السلمي، وهو تلميذ علي عليه السلام[1].

ومن علمه بالأمور السياسية:

إن عهد الامام علي عليه السلام الى مالك الأشتر النخعي حينما نصبه حاكماً لمصر، لَمن اعظم الأوامر الملكية والسلطانية، و من اكثرها فائدة للزعامة في العالم.

ولايسعنا هنا أن نعرّج على شرح هذا الدستور الجامع والشامل لجميع المصالح العسكرية والسياسية، وكيفية التوفيق بين حفظ مصالح الدولة والأمة. وقد تُرجم هذا العهد في اوروبا الى مختلف اللغات الاوروبية وغيرها كثيراً.

سياسة المدن زائداً سياسة الأُسرة وتهذيب الاخلاق هي التي تسمى في الفلسفة القديمة

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٢ : ٤٣.

بالحكمة العملية، ويكفي في ذلك أن البروفيسور العالم الفيلسوف ابن سينا في كتبه في الحكمة حينما يصل الى شرح الحكمة العملية يمسك القلم عن الافاضة في ذلك ويختمه بهذه الكلمة: وأما الحكمة العملية فان الشريعة المصطفوية قد قضت الوطر منها.

الامام والعلوم الغريبة:

قال الشيخ الامام عبد الرحمن البسطامي في كتابه «درة المعارف»:

أنزل الله على آدم عشر صحائف، وهو أول من تكلم بعلم الحروف.. ومنه ورث الأنبياء والمرسلون.. حتى ورثه محمد صلى الله عليه وآله، ثم ورث علم أسرار الحروف الامام علي عليه السلام واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله فيه: أنا مدينة العلم وعلي بابها.. ثم الامامان الحسن والحسين ثم ابنه الامام زين العابدين، ثم ابنه الامام محمد الباقر، ثم ابنه الامام جعفر الصادق[1].

«وكانت الأئمة الراسخون من أولاده يعرفون أسرار هذا الشأن العظيم»[2].

وقال الشيخ الامام كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي في كتابه «الدر المنتظم»:

«وقد ورث هذاالكتاب النوراني واللباب الصمداني الامام المهدي، وهو ورثه من أبيه الحسن العسكري، وهو ورثه من أبيه علي النقي، وهو ورثه من أبيه محمد التقي، وهو ورثه من أبيه علي الرضا، وهو ورثه من أبيه موسى الكاظم، وهو ورثه من أبيه جعفر الصادق، وهو ورثه من أبيه محمدالباقر، وهو ورثه من أبيه زين العابدين، وهو ورثه من أبيه الحسين، وهو ورثه من أبيه الامام علي رضي الله عنهم أجمعين»[3].

وقال الشيخ محي الدين بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي الدمشقي في كتابه «الدر

---

(١) ينابيع المودة: ٣٩٨ ـ ٤٠٠.

(٢) المصدر: ٤٠٢.

(٣) ينابيع المودة: ٤٢١.

المكنون والجوهر المصون لحلّ الصحيفات الجفرية بالقواعد الجعفرية»:

قال: والامام علي رضي الله عنه ورث علم الحروف من سيدنا محمد صلى الله عليه وآله واليه الاشارة بقوله: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فعليه بالباب. وقد ورث علي كرّم الله وجهه علم الأولين والآخرين..

وكان الأئمة الراسخون من أولاده رضي الله عنهم يعرفون أسرار هذا الكتاب الرباني واللباب النوراني، وهو ألف وسبعمئة مصدر.. ثم الامام الحسين رضي الله عنه ورث علم الحروف من أبيه كرم الله وجهه، ثم الامام زين العابدين ورث من أبيه رضي الله عنه، ثم الامام محمد الباقر ورث من أبيه رضي الله عنهما، ثم الامام جعفرالصادق ورث من أبيه رضي الله عنهما[1].

***

الى هنا انتهى ماقرّرنا ذكره من الدلائل والشواهد الحسيّة لاثبات علم النبيّ والامام بالعلوم المادية. وإن كنا معترفين بقصورنا في هذا المقام. ولم نقصد هنا الا اثبات نماذج وعلامات من علومهم المادية، جواباً لمن نفى هذه العلوم عنهم بالكلية. ولوكنا نقصد الاستقصاء في الإحصاء لكنّا نخرج عن حدود هذه الرسالة والاختصار في الكلام.

ولو أن أحداً أراد ذلك وراجع لذلك كتب الأخبار والآثار عن أهل البيت عليهم السلام بصورة عميقة، لوجد من الدلائل والشواهد على احاطتهم بكل العلوم والفنون ما يعجز معه عن الحدّ والإحصاء، مع القطع واليقين بأن اكثر تلك العلوم في القرون السالفة لم تكن محلّ بحث ودراسة ولاسابقة لها في التعلّم والتعليم والتأليف والتصنيف، ولاكانت لها مدرسة وجامعة.

نعم هنا نقطة تصيب بعض الناس بالشك والترديد، وهي: أن أولياء الدين والأئمة الطاهرين لم يصرفوا اكثر همّتهم في بسط العلوم المادية ونشرها، ولم يخصّصوا أهمّ أوقاتهم بتعليم العلوم

---

(١) المصدر: ٤١٢، ٤١٥.

الطبيعية والرياضية، ولم يربّوا تلامذة كثيرين في العلوم المادية.

ولكن لايخفى على الباحثين أن هذا الاسلوب من السلوك ليس لعدم معرفتهم بتلك العلوم أو قلة تدريبهم ومهارتهم وخبرتهم فيها، بل إنّما ذلك لكثرة اهتمامهم بالعلوم والمعارف الدينية والأخلاقية، وشدة اهتمامهم بتهذيب النفوس الانسانية وهدايتها الى وسائل السعادة الأبدية، لم يتلفتوا الى بسط العلوم المادية ونشرها. لا لأنهم كانوا عارين عنها ولا حظّ لهم فيها، أو لأنهم كانوا قد حذفوا ذلك من برامج دروسهم وتعليماتهم لعدم ضرورتها ولزومها. بل كانوا يرغبّون الناس ويشوّقونهم الى تحصيل تلك العلوم وتعلّمها أيضاً، ويرون أنها من الواجبات الكفائية كذلك، ولم يكونوا يمتنعون عن اظهار شيء منها في مواقع الحاجة وحسب موارد المصلحة أو الاسباب الموجبة لذلك. كما تحقّق وعُلم أنهم لم يكونوا يقصرون عن حلّ الغازها وأسرارها ورموزها بأيّ حادث أو عائق، وقد ربّوا من وجدوه مستعدّاً لائقاً لذلك كجابر بن حيّان الكوفي كما مرّ أمره.

ويكفي هذا المقدار من البحث والمقال في الدلائل والشواهد الحيّة لاثبات دعوانا أو لاذعان المنصف في ذلك.

***

.. ولنعرّج هنا على

الأدلة والبراهين العقلية
على علم الأنبياء والأئمة
بالعلوم المادّية

ويتوقف حصول النتائج من هذا البرهان العقلي على مقدمات أربع:

المقدمة الاولى:

إن الغاية المقصودة للحقّ تعالى من خلق العالم بصورة عامة ونوع الانسان بصورة خاصة، إنما هي «المعرفة».

ذلك أننا لانتصور اللغو والعبث في أفعال الحكيم وصنائعه، وأفعاله لامحالة يجب أن تكون معلّلة بأغراض وغايات، ولا يُعقل أي غرض لاينافي وجوب وجوده وغناه الذاتي، بل يحافظ على صفة غناه مع الاحتفاظ بذلك الغرض، ولا يلزم منه حاجة الحقّ تعالى اليه ولا استكماله به.. لايُعقل أيّ غرض كذلك سوى المعرفة به ولو بالغرض.

والذي يسجّله كتابه الكريم قوله سبحانه: «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون»[1] والعبادة فرع المعرفة ومسبّب عنها.

وقد ورد في الحديث القدسي قوله سبحانه: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق لكي أعرف.

---

(١) الذاريات: ٥٦.

وبعد النظر والتأمل في هذه المقدمة تصدّقون أن ليست هناك أيّة ذرة من الذرّات في جميع موجودات هذا العالم تخلو من هذه الغاية.

لكن علينا أن نفهم كيف عرّف الله نفسه في مخلوقاته؟

لهذا نقول: إن تعريف الحق تعالى بنفسه في مخلوقاته بحيث يذعن به ضمير كل عاقل، ليس معقولاً الا بأظهار كمالاته في وجود مخلوقاته، فكل مخلوق مرآة لجمال أوكمال من كمالاته ، إذ أن كل ممكن دلالة على الواجب، وكل ناقص نموذج يدل على الكامل. فكل مخلوق آية وعلامة ووسيلة للمعرفة بالحق تعالى، ولذلك سُمّي العالَم بالعالَم. مشتقاً من العلامة وبمعنى ما يُعلم به الشيء.

المقدمة الثانية:

أن ليس هناك أيّ موجود من موجودات العالَم بجدير بأن يُعرّف بالحقّ تعالى كما هو جديرٌ به. اللهم إلا أن يقال بأن من الممكن أن يُعدّ الانسان معرّفاً لوحده بكل كمالات الحق تعالى وصفاته، اللهم لاكما هي كمالات الله تعالى، بل بقدر سعة وجوده وكماله هو.

بيان ذلك: أننا حينما نسير في الآفاق ونسبر الأنفس لانجد أي فرد من أفراد المخلوقات الا مظهراً ونموذجاً لكمال أوكمالين أو عدة كمالات محدودة معدودة، فهو ـ كما يقولون ـ مظهر لبعض أسماء الله وصفاته لاغير.

فالعقل مظهر لاسم العليم القدير، والنفس مظهر لاسم المدبّر المقدّر، والملَك مظهر لاسم السبّوح القدّوس، والفلك مظهر لاسم الربّ الرفيع، والجن مظهر لاسم اللطيف الخبير، والحيوان مظهر لاسم السميع البصير، وحتى الشيطان مظهر لاسم المتكبّر العزيز.

وعليه فكل عوالم الوجود بدءاً بعالم العقول وحتى عالَم المادة، كل واحدة منها تبدي شطراً أو طرفاً من صفات الحق تعالى وكمالاته. وحيث كان الحق تعالى لوحده كل تلك الكمالات، كان

يقتضي وجود مظهَر يكون لوحده مرآة لكل كمالاته. ونلاحظ أن الانسان لوحده نموذج لكل أسماء الحق تعالى وصفاته، وليس سواه في العوالم موجود يكون نموذجاً لجميع العوالم ونسخة جامعة لجميع دوائر الوجود، يمكنه أن يكون لوحده مرآة لكل صفات الحق تعالى وكمالاته، سوى الانسان.

فمثلاً نراه بعقله النظري هو مظهر لاسم العليم الحكيم، وبعقله العملي مظهر لاسم المدّبر العادل، وبقواه المدركة مظهر لاسم المدُرك، وبسمعه وبصره مظهر لاسم السميع البصير، وبقواه العاملة مظهر لاسم القدير، وبقواه الاشتياقية مظهر لاسم المريد، وبقوته الغضبية مظهر لاسم القاهر المنتقم، وبتغذيته مظهر لاسم الرازق المنعم، وبتوليده مظهر لاسم الخالق، وهكذا في سائر قواه وصفاته الاخرى هو مظهر لاسم أو صفة من أسماء الحق وصفاته.

وعليه فكل صفة كمالية من الكمالات اللانهائية للحق تعالى مما هو مفرّق على مجموع العالَم بصورة متشتتة، قد تجلّت في ذات الانسان بصورة وحدة مجموعة:

أتـــــزعم أنك جِرم صـــــغير وفـيك انـطوى العـالَم الاكـبر

من هنا اصطفاه الحق تعالى من بين جميع موجوداته ومخلوقاته، وشرّفه بأن جعله مظهراً لنفسه، وكلّفه بحمل ثقل الأمانة الآلهية كما في قوله سبحانه: **﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملها وأشفقن منها، وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾**[1].

وقال المحقق الكاشاني في ذلك: إن الله سبحانه خلق النفس الانسانية وأبدعها مثالاً لنفسه، ذاتاً وصفةوفعلاً مع التفاوت بين المثال والحقيقة ليكون معرفتها مرقاةً لمعرفته، فنفخ فيها من روحه، وجعل ذاتها مجردة عن الاكوان والجهات والحيازات، وصيّرها ذات علم وقدرة وارادة وحياةوسمع وبصر، وجعلها ذات مملكة شبيهة بمملكته، تخلق ماتشاء، وتختار ماتريد، فلها في

---

(١) الأحزاب: ٧٢.

ذاتها عالَم خاص بها من الجواهر والأعراض المفارقة والمادية والأفلاك والعناصر والمركبات، وسائر الخلائق، الا أنها صغيرة وضعفية.

ولعل هذا هو معنى الحديث النبويّ الشريف: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه»

وكذلك الخبر العلويّ: «أعرّفكُم بنفسه أعرفكم بربّه»

***

لكن لايخفى على أرباب العلم والمعرفة واولى البصيرة أن هذا التعريف لا يكون بدرجة عالية كاملة، ذلك أن الانسان غير الكامل من حيث الوجود و الآثار والصفات، بل الناقص والمحدود من هذه الجهات والحيثيّات، سوف لايحتوي من الحقيقة الا على نموذج وأثر لا اكثر، ولايمكن لأيّ محدود أو ناقص أن يكون مرآة للحقيقة الكاملة، وميزاناً للمعرفة التامة، الا بحسب الوسع والظرفية الوجودية لنفسه.

والآن لنرى هل أن للانسان أن يترقى ويتكامل بحيث يتمكن من أن يكون معرّفاً بالحق تعالى وممثّلاً له بدرجة عالية؟ أم لا؟ وهل يجب على الله أن يعرّفنا بنفسه بصورة تامة كاملة أم من الممكن أن يقتصر على هذا المقدار الناقص الحاصل من وجود الانسان العادي؟.

***

فأما المقدمة الاولى من هاتين المقدّمتين وهي المقدمة الثالثة من مقدمات البرهان:

فنقول: لكل واحد مما نلاحظه من موجودات هذا العالم درجة معيّنة وحدّ خاص من الوجود، بحيث لا يمكنه أن يتعداه أو يتجاوزه أو يترقى فيه، فكما ورد بشأن الملائكة في أول خطبة من خطب أمير المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة» قوله: «فمنهم قيام لايركعون وركوع لا

يسجدون وسجود لا يركعون» وذلك قوله سبحانه من قبل: «وما منّا الا له مقام معلوم»[1] كذلك لكل من الحيوان والنبات والجماد حدّ محدود لوجوده الخاص لا يمكنه أن يتجاوزه أو يترقى فيه، فلا الجماد يمكنه أن يصبح حيواناً، ولا الحيوان انساناً، ذلك أن كل واحد منهما قد خلق لغاية.

ولكن الانسان حيث قد خلقه الله ليبلغ به الى الكمال الأسمى المعبّر عنه بالرجوع الى الله، لذلك قد اودعت فيه جوهرة جميع العوامل والطبائع، فله من كل عالَم وطبيعة جزء في الحدّ الأوسط من الاعتدال، ففي الصلابة ليس بصلابة الجبال والمعادن، وفي التغذية والتوليد والتنمية ليس بمستوى الاشجار والنباتات، وفي الحسّ والحركة ليس كالسباع والطيور. ولذلك فهو لاستمرار حياته بحاجة الى التعاون مع أبناء نوعه ولا يتمكن من العيش لوحده.

ولذلك فهو لا يقف في أي حدّ من الحدود أو أيّة مرتبة من مراتب الوجود، بل هو في كل مرتبة من مراتب الوجود بين القوة والفعل فهو جماد بالفعل ونبات بالقوة، أو نبات بالفعل وحيوان بالقوة، أو حيوان بالفعل وانسان بالقوة، أو انسان بالفعل وملَك بالقوة، بل كان أول ما كان معلّماً للملائكة مسجوداً لهم.

ومن هذه المقدمة نرى أن من الممكن للانسان من حيث قواه العقلية والروحية أن يعّرف بالله تعالى بكماله الأعلى.

وأما المقدمة الرابعة: فهل يجب على الله تعالى أن يُعرّف بنفسه بأتم وجه وأعلاه؟

فنقول: بعد اثبات أن الغاية من خلق العالَم والانسان خاصة لتعريف بالله.

وبعد تحقيق أن الانسان العادي غير الكامل لا يمكنه أن يعرّف بربّه كما هو حقّه.

وبعد العلم بامكان وصول الانسان الى درجة أن يعرّف بالحق تعالى كما هو حقّه

لنا هنا سؤال هو: هل من الممكن..

---

(١) الصافات: ١٦٤.

مع اتصاف الحق تعالى بالعلم والحكمة واللطف والعناية بعباده..

ومع وجود المقتضى لايجاد المعرّف التام لاستيفاء غايته على وجه التمام..

ومع عدم وجود أيّ مانع عن استيفاء هذا المرام..

.. مع كل ذلك .. هل من الممكن أن يأبى الله ذلك ويهمل ما يتعلق بمقصوده الأصلي من الخلق والايجاد؟ أو أن ينسى الغاية الحقيقية من خلق العالَم، ولايكون له فرد من أفراد الانسان جدير بخلافته وتمثيله والتعريف به والدلالة عليه؟!

بل ستقولون في الجواب:

بمقتضى الحكمة والعناية، وللوفاء بالغاية، على الله أن لايُخلي الأرض أبداً من فرد من أفراد الانسان اكمل من جميع الأفراد، يتجلى فيه كل كمال كائن في كل الكائنات بصورة أقوى وأتم، ويكون في كل كمال آية وعلامة على كمال الله ذي الجلال والجمال.

وعليه فلابد أن يكون بين أفراد الانسان عالم أعلم مما سواه ليمثل علم الله، وقادر لايعصيه شيء ليمثل قدرة الله، وبصير سميع لاتخفى عليه خافية ليمثل الله في ذلك، وناطق بجميع اللغات بل عالم حتى بمنطق الطيور والوحوش والبهائم، يمثل ربّه في ذلك، ومُريد بارادة تمثل ارادة المريد المطلق، وسلطان يقهر عزّ السلاطين، وهكذا في سائر الصفات الجمالية والجلالية يكون آية الله العظمى وحجته الكبرى ومرآة عن الله تعالى.

***

ومن الأدلة النَقليّة
من القرآن الكريم

ومن القرآن الكريم:

قوله سبحانه: «وعلّم آدم الأسماء كلها»[1] وآدم هنا باتفاق المفسّرين تقريباً هو آدم أبو البشر. والقرآن وإن لم يصرّح بنبوّته ورسالته فان أخبار الأئمة الأطهار صريحة في ذلك.

وأما دلالة الآية على الدعوى:

فان كلمة «الأسماء» في الآية جمع محلّى بالألف واللام، وقد ثبت في العلوم الأدبية أن الكلمة من ألفاظ العموم وتفيد شمول كل الأفراد. وقد ورد في أخبار عديدة من أهل البيت عليهم السلام أن المراد بالأسماء أسماء جميع الأشياء. وواضح على أرباب الفهم المستقيم والذوق السليم أن لايكون المراد من أسماء جميع الأشياء العلم بلغاتها، إذ ليس العلم باللغة والمصطلحات كمالاً مهماً للتفوّق على الملائكة وسبباً لسجودهم له.

أضف الى ذلك أن ظهور أوضاع اللغات واختلاف الألسن انما كان بعد تفرّق بني آدم، ولم يكن ذلك حينما خلق آدم لنوّه، ولم يكن هناك أيّ سبب لذلك. إذن فما هي أسماء جميع الأشياء بحيث تكون سبباً لامتياز آدم؟.

---

(١) سورة البقرة: ٣٠.

وهنا نكتفي بذكر معنى نطمئن اليه، فهو ـ بالاضافة الى أنه من رشحات أهل بيت الوحي ـ معنىً معقول مقبول لدى العقول. وهو: أن المراد بالأسماء اما هي أسماء الله، واما هي أسماء المسميات، والمقصود منهما حقائق الأشياء وخواصّها وآثارها ولوازمها وملزوماتها.

الاسم في اللغة سمة وعلامة لإحضار المسمّى في خواطر السامعين. أو: الاسم مشتق من السمة وهي العلامة، فالاسم مايكون علامة المسمّى ودالاً عليه، وعليه فهو أعم من أن يكون لفظاً موضوعاً لموضوع له معين، أو قوة وأثراً خاصاً لشيء معيّن، أو صناعة أو صفة خاصة تظهر من شخص خاص. فكما أنه اذا أطلق اللفظ تذكر السامع به المسمّى المعيّن، كذلك فيما اذا ظهر ذلك الأثر الخاص أو الصفة أو الصناعة الخاصة يتذكر الانسان المؤثر وذا القوة والصفة والصناعة الخاصة.

والآن لنبحث كي نعلم كيف يحصل العلم بحقائق الأشياء للانسان؟

للعلم بحقائق الأشياء طريقان: العلم الحصولي، والعلم الحضوري.

والعلم الحصولي ليس في الحقيقة طريقاً للوصول الى الحقيقة وكنْه الاشياء، بل انما هو علم بالشبح والظل والخواص والعوارض وآثار الحقيقة، أما الحقيقة فهي اكبر من أن تحيط بها عقولنا من خلال المفاهيم والحدود.

فعُلم أن لا سبيل للعقول والعلوم البشرية الى الحقيقة من خلال العلم الحصولي، و ما يسمّونه حقيقة إنما هي لوازم وآثار الحقيقة، وما يسمّونه علماً انما هو خيال العلم لا العلم.

نعم يمكن ادراك حقائق الأشياء لكن من خلال العلم الحضوري لا الحصولي.

وانما نقصد هنا أن نقول: ان تعليم الله آدم الأسماء لم يكن بنحو العلم الحصولي، وانما كان من خلال اراءته ملكوت العالم وارتباطه بعوالم ماوراء الطبيعة، وحيث أن حقائق كل الكائنات توجد في ذلك العالم فبارتباطه بذلك العالَم يقف على كل الحقائق. اذن فتعليم الله آدم بجميع الحقائق كان بأن عرّفه بحقائق المعلومات والمسبّبات من خلال العلم الشهودي بالأسباب

والعلل، لامن خلال التعليمات المعمولة التي انما يدركون فيها العلة والمؤثر من خلال المعلول والأثر، بل بالعكس.

الدليل الثاني من آيات القرآن الكريم: الآية ١١٣ من سورة النساء: «وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً»[1].

ثبت في العلوم الأدبية أن «ما» الموصولة تفيد شمول كل الأفراد وهي حقيقة في العموم. والمراد من الموصول هنا «مالم تكن تعلم» كل الأمور المجهولة للرسول. فهل مع هذا الخطاب اللطيف الدّال بصراحة على رفع عموم الجهل عن الرسول، يُحتمل أن يبقى مجهول مجهولاً عليه؟ وأن يبقى سرّ من الأسرار لم يكشف له؟.

والآيتان وإن كانتا بشأن النبيّ لا الامام، ولكن بحكم مساواة نفس الامام مع الرسول في جميع الكمالات الا مرتبة النبوة، تشهد لذلك البراهين العقلية و من القرآن الكريم «آية المباهلة» فانها تشهد بوحدة نفس الرسول مع نفس الولي الوصيّ.

نقول: الى هنا ذكرنا آية في آدم واخرى في الرسول الاكرم واخرى في علي بن أبي طالب عليهم السلام، ونُعرض عن ذكر سائر الآيات والأخبار عن الائمة الأطهار، إذ أن كثرتها ووفورها بين أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام بل بين عموم المسلمين يكفي عن ذكرها ولكن نعرض هنا لشطر من كلمات بعض قدماء الفلاسفة بهذا الصدد:

يقول المعلم الثاني أبو نصر الفارابي في رسالته «فصوص الحكم» في بيان رتبة النبوة:

«فصّ: النبوة تختص في روحها بقوة قدسية يذعن لها عالَم الخلق الاكبر، ولا يصدع مرآتها عن الانتقاش بما في اللوح المحفوظ من الكتاب الذي لا يبطل، وهو العلم بالكليات والجزئيات، على وجه لا يتغيّر، سواء كانت تلك الجزئيات موجودة في الخارج أو منتظرة الوجود فيه» فهو يصرّح بأن لامانع ولاحاجب له عن أن يعلم بالكليات والجزئيات الموجودة والمترقبة.

---

(١) سورة النساء: ١١٢.

وفي شرح القوة القدسية يقول الشارح:

«وهي المنزّهة عن الحجب والكدورات الشديدة الاستعداد نحو العلوم والدراسات، فإنّ استعداد أشخاص الناس بقبول الفيض من المبدأ المفارق والاتصال بذلك المبدأ متفاوت شدةً وضعفاً: فمنهم من يشتد فيه ذلك الاستعداد غايته حتى لا يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعّال، وأن يقبل منه العلوم الى مؤونة فكر وتعلم، بل يكون كأنه قد حصل جميع العلوم وصارت مخزونة عنده، بحيث متى شاء حصلت عنده، فيكون كأنه قد علم كل شيء من تلقاء نفسه. وهذه القوة ـ وهي أعلى مراتب القوة الانسانية ـ تسمى قوة قدسية».

وابن سينا في آخر آلهيات كتابه «الشفاء» بعد شرحه لفضائل الأخلاق قال:

«وأصول هذه الفضائل: عفة وحكمة وشجاعة، وجامعها العدالة، وهي خارجة عن الفضيلة النظرية، ومن اجتمعت له معها الحكمة النظرية فقد سعد، ومن فاز مع ذلك بالخواص النبوية كاد أن يصير ربّاً انسانياً، وكاد أن تحلّ عبادته بعد الله سبحانه، وهو سلطان العالم الأرضي، وهو خليفة الله فيه».

وقد نقل عن الشيخ الرئيس ابن سينا كلام مشابه آخر عن مقدمة رسالته «المعراجية» بالفارسية مامعناه: لذلك قال أشرف البشر وأعزّ الأنبياء و خاتم المرسلين لأمير المؤمنين علي عليه السلام مركز الحكمة وفلك الحقيقة: «إذا رأيت الناس يتقربون الى الله بأنواع البرّ فتقرّب أنت اليه بأنواع العقل تسبقهم» ولا يستقيم هذا الخطاب الا مع هذه الشخصية العظيمة، فانه كان بين البشر كالعقل بين المحسوسات.. ولذلك قال: «لوكشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً».

وأما من كلمات صدر المتألّهين من الحكماء المتأخرين، فهي كثيرة جدّاً. وقد رأيت مقطعاً من عبارة له في تفسير آية النور في بيان المقام العلميّ الفائق للنبيّ والامام، لا يستقرّ خاطري الا بذكره هنا ولذلك فاني أنقله هنا بنصه وبه اختم هذا البحث،

يقول: «إن هذا الباب الربانيّ والعبد المقرّب السبحاني، والخليفة لله تعالى، والمرآة لصور

الأشياء كلها.. إنما فاق على الكونين بشيئين: العلم التام بحقائق الأشياء، والقدرة الكاملة على مايشاء.

أما العلم: فعلمه منقسم الى: العلم الظاهر، والعلم الباطن.

فبعلمه الظاهر يحيط بما يحتاج اليه في خلافته الظاهرة من كيفية الصنائع واستخدام الطبائع، ومعرفة تسخير الحيوانات واصطياد الوحوش والطيور من الأرض والهواء، واستخراج الحيتان من قعر البحار.. ويضع علوماً كعلوم الشرائع والأخلاق والآداب، وعلم الحكومة والسياسة، والنجوم والطب واللغة والشعر والحساب والموسيقى والفال والزجر والشعبذة والقيافة والحيل وجرّ الأثقال واخراج القنوات ومعرفةالجواهر والمعدنيات وعلم الأدوية والنباتات المفردة والمركّبة وكيفية دفع السموم والأمراض، وعلم الدهقنة والفلاحة وسائر علوم الصناعات.

وأما علم الباطن: فهو معرفة الروحانيات ومكاشفة الملائكة والاحاطة بجواهر العقول والمُثل الأفلاطونيات والاطلاع على المباديء الاول وماهو أول الأوائل والغايات الأواخر وماهي غاية الغايات.

وبالجملة: فالعلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والاحاطة بصورة الوجود كله، وبه يصير الانسان بحيث كأنه أحد سكان الصقع الربوبي وموضوع العالم العقلي.

فهو يصرّح بنظريته قائلاً: بأن النبيّ والامام بالاضافة الى علمهم بالأديان والشرائع ويسميه العلم الباطن، لابد أن يكون له العلم الظاهر أيضاً من العلوم الرسمية من الرياضيات والطبيعيات، وما يُعدّ في عداد العلوم والمعارف.

فهل مع ذلك من الجائز أن نقول بأن علوم الأنبياء والأئمة منحصرة في علم الدين والشريعة ولاحذاقة لهم في سائر العلوم؟!.

أعاذنا الله تعالى من الزيغ والزلل، في القول والعمل.

وكيف يحيطون بكل ذلك:

لصدر المتألّهين في «شرح أُصول الكافي» حول الحديث العاشر من «باب الردّ الى كتاب الله وسنّة نبيّه» كلام فائق ورائق حول موضوع البحث هذا أي كيفية الاحاطة العلمية للنبيّ والامام، واشتمال القرآن على جميع العلوم والأسرار، ننقله نحن هنا لمزيد البصيرة للقارىء الكريم ونكتفي به في هذا المقام. واليك الخبر:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي القمي، عن اسماعيل بن مهران، عن سيف بن عميرة، عن أبي المغرا، عن سماعة، قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام:

اكلّ شيء في كتاب اله وسنّة نبيّه؟ أو تقولون فيه؟

فقال عليه السلام: «بل كل شيء في كتاب الله وسنّة نبيّه»[1].

شرح الخبر: لما كان اشتمال القرآن والسنة على كل شيء أمراً غامضاً دقيقاً لا يتيسّر لكل أحد أن يعلم ذلك ويصدّق به، لهذا كرّر سماعة الاستفهام شبه الانكاري، فاكّده عليه السلام في الجواب، تحقيقاً لما استفهم عنه.

وأنت يا حبيبي ـ إن أردت أن تعرف حقيقة هذا الأمر ويتكشف لك سرّه على وجه الاجمال، فاعلم: أن العلم بالأشياء والجزءية على وجهين:

احدهما: أن تعلم الأشياء من الأشياء، بحس او تجربة أو سماع خبر أو شهادة أو اجتهاد. ومثل هذا العلم لايكون الا متغيراً فاسداً محصوراً متناهياً غير محيط، فانه يلزم أن يعلم في زمان وجودها علماً، وقبل وجودها علماً آخر، ثم بعده علماً آخر، فاذا سُئل العالم بهذا العلم عن حادث تاكالكسوف مثلا حين وجوده أجاب بجواب فقال: انكسفت الشمس، واذا سُئل عنه قبل حدوثه أجاب بجواب آخر قال: سيحدث الكسوف، واذا سُئل بعده قال: قد كان الكسوف. فعلمه

---

(١) أُصول الكافي: ٦٢.

بشيء واحد تارةيكون واخرى كان وثالثة كائن. ومثل هذا العلم الانفعالي متغير فاسد، ليس بيقين، إذ العلم اليقيني مالا يتغيّر أصلاً.

وثانيهما: أن لايعلم الأشياء من الأشياء، بل يعلم بمباديها وأسبابها، فيعلم أوائل الوجود وثوانيها وهكذا الى أن ينتهي الى الجزئيات، علماً واحداً وعقلاً بسيطاً محيطاً بكليات الأشياء، وجزئياتها على وجه عقلي غير متغير، فمن عرف المبدأ الأول بصفاته اللازمة، وعرف أنه مبدأ كل وُجود، وفاعل كل فيض وجود، عرف أوائل الموجودات عنه، ومايتولد عنها على الترتيب السببي والمسبّبي، كما تتولد مراتب العدد من الواحد على الترتيب. وما من شيء من الأشياء يوجد الا وقد صار من جهة مايكون واجباً بسببه وسبب سببه، الى أن ينتهي اليه تعالى، فتكون هذه الأسباب بتفاعلاتها تؤدي الى أن يوجد منها الأمور الجزئية.

وهذا النحو من العلم انما يحصل لانسان فارقت نفسه الأوطان والمواد والمتعلقات، وهاجرت الى الله، كما قال ابراهيم عليه السلام: «انني ذاهب الى ربي سيهدين»[1] وقال لوط عليه‌السلام: «إني مهاجر الى ربّي».[2]

فاذا ارتقى الى عالم الربوبية وأفاض عليه من نوره، صار عقله للأشياء عقلاً بسيطاً يعقل الأشياء بعلم الله الفائض عليه، فيكون مدركاً للأمور الجزئية من حيث هي دائمة كلية، ومن حيث لاكثرة فيه ولاتغيّر، ونسبة علمه بالأشياء الى سائر العلوم كنسبة القوة الباصرة الى ادراك أجزاء المبصرات بإبصار واحد، فما وقع عليه سهم شعاع البصر كان أولاً وبالذات، وهو أصدق رؤية، ثم مايليه وما يلي مايليه، وهكذا الى الأطراف.

فهكذا علم الأنبياء والأولياء عليهم السلام بالأشياء، فان العالَم كله كشخص متصل أجزاؤه بعضها ببعض، وعلمهم بها كشعور النفس بجميع أجزاء بدنها، علماً واحداً متفاوتاً على ترتيب

---

(١) الصافات: ٩٩.

(٢) العنكبوت: ٢٦.

الأقرب فالأقرب والألطف فالألطف، فانها شاعرة بذاتها أولاً، وبواسطة شعورها بذاتها تشعر بما يقرب من ذاتها من القوى والأرواح الكامنة في القلب، الذي هو مثال العرش، والدماغ الذي هو مثال الكرسي، ثم بواسطتها الأعضاء اللطيفة والبسيطة ثم المركبة على ترتيب الألطف فالألطف، حتى ينتهي الى الجلد والشعر والأظفار، كل ذلك بعلم واحد بسيط.

وبالجملة: فمن عرف كيفية علم الله تعالى ـ وعلم مقرّبيه من الملائكة ـ بالأشياء الجزئية الكائنة الفاسدة المتعاقبة في الكون، علماً كلياً ثابتاً دائماً، من غير تغيير وزوال، ولا استحالة ولا انتقال.. أمكنه أن يعلم حينئذٍ علم الأنبياء والأولياء الكاملين عليهم السلام بأحوال الموجودات الماضية والمستقبلة، وعلم ما كان وعلم ماسيكون الى يوم القيامة، علماً كلياً ثابتاً غير متجدد بتجدد المعلومات، ولا متكثر بتكثّرها. وعند ذلك يعرف معنى قوله سبحانه: «تبياناً لكل شيء»[1] ويصدق بأن جميع العلوم والمعاني في القرآن الكريم، عرفاناً حقيقياً وتصديقاً يقيناً، على بصيرة لا على وجه تقليد أو سماع أو ما يجري مجراها، اذ مامن أمر من الأمور الا وهو مذكور في الكتاب، اما بنفسه أو بمرقوماته وأسبابه ومباديه وغاياته، وقد علمت أن العلم بسبب الشيء يوجب العلم به، بل ان العلم الحقيقي بالمعلول ذي السبب لايحصل الا من جهة العلم بسببه، ولهذا ليس الاحساس بالشيء ولا التجربة أو مايجري مجراهما علماً حقيقياً بذلك الشيء.

واكثر الناس لما لم يعرفوا المبدأ الأول تعالى حق معرفته، ولا أوائل الموجودات والمبادي الكلية والغايات، ولا عرفوا العقول ولا النفوس، ولا الطبائع الكلية وأغراضها وأشواقها في دؤوبها وحركاتها الدورية، تقربا الى الله وطاعته ومايترشح عنها من الخيرات ونعم الله على الكائنات، حتى أنهم لايعرفون أنفسهم التي هي أقرب شيء اليهم.. فلاجرم لايمكنهم فهم آيات القرآن وعجائبه وأسراره، ومايلزمها من الاحكام والعلوم التي لاتتناهي ولاتعد ولاتحصى..

---

(١) النحل: ٨٩.

ولأجل ذلك صار الانسان يتعجب من كون القرآن مع صغر حجمه ووجازة لفظه جامعاً لجميع العلوم والأخبار، ولايؤمن بالقرآن وآياته الا القليل من الناس، وهم الذين خصهم الله بنوره ونوّر قلوبهم بآياته، وآتاهم الحكمة وفصل الخطاب «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذوالفضل العظيم»[1].

والى هنا تم ما تعهدّناه والتزمناه من بيان سعة دائرة علوم القرآن، وعلم النبيّ والامام عليهما الصلاة والسلام، وكيفية احاطة علومهم.

***

(١) الجمعة: ٥.

بحث حول الشيعة

وَالمذاهب الأربعة

مقدمة الكتاب:

لايلتبس الأمر على أحد، ولا يتخيّل ـ بالباطل ـ أننا ننظر في هذه الرسالة الى نقد المذاهب الأربعة: المالكي والحنفي، والشافعي والحنبلي، أو أئمتها الأربع: مالك بن أنس، وأبي حنيفة النعمان، ومحمد بن ادريس الشافعي، وأحمد بن حنبل. أو الى تخطئة أهل السنّة في اتباعهم وتقليدهم لهم.

وإنما نقصد تنوير الأفكار ورفع سوء الفهم بين اخواننا المسلمين عن مذهب أهل البيت عليهم السلام، وذكر معتمد الشيعة الامامية الاثنى عشرية في اتباع الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام.

فلو استنبط البعض من مطاوي مقالي هذا الاشكال على أتباع المذاهب الأربعة، تضمّناً أو التزاماً، فانما أنا بصدد بيان عذر الشيعة الامامية في عدم متابعتهم لأهل السنة ومجانبتهم

لطريقهم، وإنما أطلقت قلمي بهذا المقدار فقط.

فمن المستحسن للاخوة من أهل السنة أن يتأمّلوا اكثر حول مقالي هذا، لعلّهم يرجعون الى أنّ هذا المقدار من المجانبة والانصراف عن متابعة أهل السنة بمقتضى الأدلة الموجبة لذلك، لا يشكّل منشأ للشقاق والافتراق، فانما هو اختلاف في التقليد في الفتاوي، أي في فروع التكاليف الفقهية، ولاعلاقة له بأصول الدين، وإن للاسلام محوراً واحداً ورايةً واحدة، وعلى كافة الفرق الاسلامية أن تلتفّ حولها، متجنّبين سوء الظنون بسائر اخوانهم المسلمين.

أسباب الخلاف:

علينا أن نرى ما هو منشأ التشتّت والافتراق؟ والموجب للاخلاف حتى الآن؟ ليتجّه المثقفون من الطرفين، والمصلحون من الفرقتين، والمحبّون لوحده كلمة المسلمين، بكل أنظارهم وأفكارهم الى انتزاع منا شيء الافتراق وجذوره، ويحطّموا هذا الجدار الفاصل بين هاتين الفرقتين، عسى ولعلهم في ظلال التفاهم والتعاون، يوظفون مساعيهم لرفع غوائل الضلال في المجتمع الاسلامي، فتعود اليهم تلك العزة والسيادة التي كانت لهم في صدر الاسلام بمشيئة الله تعالى.

ولو كانت معاملة كل فرقة وطائفة مع الاخرى حين الاصطكاك على أساس الاعتدال، أي العقل السليم، محافظين على موازين العدل ومنظبطين، لماكان هناك بين المجتمع البشري اليوم شقاق ولا افتراق، ولكان كل أفراد البشر . ولاسيما المسلمون بكل ما يوجب الألفة بينهم . يتمتّعون بمواهب الوِداد والاتّحاد. ولانأبى من أن نعترف بأن بعض المتطرّفين من الشيعة يثيرون غضب الاخوة أهل السنة، بما لهم من المبادرة الى عدم مراعاة أصول الاحترام والأدب بالنسبة الى كبار أهل السنة، وبذلك يجعلونهم يسيئون النظرة اليهم. ومن طرف آخر نرى أنّ أهل السنّة

أيضاً يسيئون الظنّ باخوانهم من المسلمين الشيعة بلا دليل، وانما لمجانبة الشيعة في فقه الاسلام وأحكام الدين عن تبعية المذاهب الأربعة، وانفرادهم بتبعيّة أهل بيت العصمة والطهارة. ولهذا ينبذونهم بلقب «الرافضة» ويتقدونهم بل يحكمون عليهم بالتفسيق بل الكفر؟!.

فلو اهتمّ علماء الفريقين بالتقليل من هذه الأفكار بل التقريب بين وجهات النظر، وباستئصال جذور الافتراق والشقاق، لحفظ عظمة الاسلام ولرعاية مصالح المسلمين العالية، لأدخلوا السرور بذلك على روح الرسول الكريم «ص».

أنا لا أدعوا الشيعة الى أن يرفعوا أيديهم عن عقيدتهم وايمانهم، وأن يذعنوا ويصدّقوا بما يخالف اعتقادهم ووجدانهم بغير الحق.. بل أقول: كما يوجد بين الشيعة طوائف مختلفة ولكنهم لايخرج بعضهم على بعض عن حدود الأدب، كذلك يعاملوا بنفس هذا الاسلوب من السلوك مع سائر المسلمين من أهل السنة، وأن يتّخذوا معاملة أئمتهم مع الاخوة من أهل السنة درساً لهم فيتابعوهم في ذلك، وأن يجعلوا برنامج العمل الذي رسموه لنا في مداراة سائر الفرق الاسلامية ـ كما جاء ذلك في الأخبار عنهم ـ نصب أعينهم فيعملوا وفق ذلك. ولا أدعوهم الى أن يكتموا الحقائق من عقائدهم، بل اعتقد أن اظهار الحق والحقيقة شعار كل مسلم ووظيفة كل عاقل. لكن ليكن ذلك مع رعاية الأُصول الأخلاقية ومقتضياتها، فان بيان الحقيقة مع الأدب والاحترام أوقع في النفوس واكثر أثراً، كما قال سبحانه: «ولاتستوي الحسنة ولا السيئة، إدفع بالتي هي أحسن، فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم»[1].

وهل أنّ التيّرين والخيّرين من أهل السنة مستعدون للاصغاء الى الصواب من أقوالنا والتأمل فيها؟ واذا ما اقتنعوا بحججنا وأدلّتنا فهل أنهم مستعدون للخروج عن ذلك الحصار من التعصّب والتقليد الأعمى لاسمح الله؟ وهل أنهم يتعهّدون برفع الشبهات والخرافات وإساءة الظنون،

---

(١) سورة السجدة: ٣٤.

والتخرّصات عن أذهان عوامهم، واستبدالها بالحقائق البيّنة والجليّة؟.

وها أنا هنا أتصدّى لأداء هذه الوظيفة على مستوى هذه الصحائف، وسأبيّن في هذه الرسالة بعض الحقائق، عسى ولعلّها تجد في بعض الزوايا والأطراف بعض الأذهان الخليّة عن التعصّب والعناد فيقع هذا المقال الصائب موقع التأثير في بعض العقول والقلوب، فيهتّم برفع هذا الاختلاف و التشتّت وينقذ مجتمع المسلمين عن العواقب السيئة من ذلك.

والذي أنا أراه علّة العلل في سوء ظنّ اخواننا أهل السنّة بالنسبة الى الشيعة الامامية ـ بعد البحث والدراسة ـ انما هو اتباع الشيعة للأئمة الاثنى عشر من أهل البيت في فقه الاسلام وأحكام الدين.

في حين أنهم لو نظروا الى ذلك بنظر المنصف وعن المنطق والدليل، كان عليهم أن يدعوا سوء الظنّ جانباً، بل عليهم أن يقدّروا ذلك ويمجدّوه؛ ذلك أن الشيعة لم يتّبعوا في ذلك الا عن أهل بيت الوحي والتنزيل، ومعدن العلم والتعليم، ولم يتمسّكوا الا بأغصان شجرة النبوة وفروع دوحة الرسالة. وأمّا الآخرون فمن أنوارهم اقتبسوا ومن نبعهم استقوا.

إن الشيعة يرون أن علياً والأحد عشر من أبنائه معصومون من المعاصي ومبرّأون عن الأخطاء والزلآت، وأن علياً عليه السلام كان أعلم وأفضل من سائر صحابة الرسول الكريم. ومع كلّ مالهم على هذه العقيدة من الشواهد والدلائل من طرقهم في كتبهم المعتبرة لديهم، مع ذلك لم يقتنعوا بتلك الدلائل بل اطّلعوا على الكتب المعتبرة من سائر المذاهب فوجدوا فيها شواهد كثيرة على عقيدتهم. فكيف لهم ـ مع ذلك ـ أن يتابعوا في أحكام الدين سائر الصحابة الكرام أو الأئمة الأعلام؟! في حين أن العقل في موارد اختلاف الأنظار وتشتّت الآراء يقضي بالرجوع الى الأعلم من علماء الفن وأهل الخبرة، كما أنّ الغريزة الفطرية الآلهية أيضاً تدفع البشر في موارد الشك والاختلاف وتحمله على المراجعة الى اكثرهم خبرة وعلماً بالموضوع، كما أن الغريزة الفطرية تجرّ الانسان في مواقع الخوف والخطر الى الملجأ الأقوى والمستند المعتمد، والقرآن الكريم

يقول: «فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اولئك الذين هداهم الله، واولئك هم اولوا الألباب»[1] وبذلك يرغب الانسان في حبّ الاستطلاع عن الحقائق وعليه فلا ينبغي للانسان أن يجعل سنّة الجمود والتقليد شعاراً لنفسه، خلافاً لحكم الشرع وناموس الفطرة والعقل.

إن الشيعة يقولون: نحن اخوة ورفقاء طريق مع كافة الاخوة المسلمين في كلمة التوحيد ورسالة النبوة والمعاد، والتي هي أصول دين الاسلام وأساس الاتحاد والائتلاف والوئام. فالجامع الدينيّ هو الاسلام بأصوله الثلاثة، وهي تجمع جميع فرق المسلمين تحت ظلالها العريضة، وتوقفهم من حيث الشؤون الاجتماعية والحقوق الاسلامية في صف ورديف واحد. وليس الاختلاف بين الشيعة مع أهل السنة اكثر من الاختلافات بين أتباع المذاهب الأربعة بعضهم مع بعض.

إن الشيعة يشايعون علياً والأحد عشر من أبنائه، ولاسيما الامام السادس جعفر بن محمد عليهم السلام، والذي قام بنشر احكام القرآن وقوانين الاسلام، وكان معدناً لعلوم بيت الوحي والرسالة، ولذلك سُمّي مذهبهم بالمذهب الجعفري.

نحن لانظر الى من حصروا أنفسهم في حصار جدران المذاهب الأربعة ـ من دون أي سند معتمد ـ بنظرة قائمة وبأيدينا مِطرقة النقد، فلماذا هم ينظرون الى الشيعة بنظر بالعين اليُسرى وبنظرة سوء ضيقة؟! فيؤثرون بذلك على وحدة الكلمة والتي هي أساس أي رُقيّ او تقدّم، ورأسمال السعادة والسيادة. أفهل هناك نص أو دليل من كتاب الله أو سنته رسوله على حصر المذاهب في الأربعة؟ كي يكون المسلمون مجبرين على الاقتصار على هذه المذاهب الأربعة فقط.

أفهل يمكن لعملٍ رسميّ بعد ثلاثمئة وثلاث وخمسين سنة بعد وفاة رسول الاسلام وانقطاع

---

(١) الزمر: ١٧ و ١٨.

الوحي، وبأمر من الخليفة العباسي «القادر بالله» والذي ألزم به المسلمون في ذلك العصر بالقهر والجبر، من دون أيّ أساس ـ سوى السياسة . في ذلك الزمان، ولذلك لم ينفّذ في ساير البلاد البعيدة عن مركز خلافة بني العباس الاّ قليلاً. وحتى كان المسلمون في مصر غير ملتزمين بتقليد احدى المذاهب الأربعة حتى حدود السبعمئة والخمسين للهجرة بشهادة التاريخ بذلك. كيف يمكن لهكذا عمل أن نجعله الأساس المعتمد عليه في أمر الدين والشريعة؟! وأن نبني القصر المنيع والبنيان الرفيع للدين على هكذا أساس واهٍ ؟!.

إن التعبّد في الأمور الدينية لابد أن يكون نابعاً من منشأ واجب الطاعة عقلاً، ومن مهبط الوحي السماوي أي ممّن له مرتبة العصمة. أما الارادة و النظرية السياسية للخليفة العباسي فلا أثر لها في ايمان الانسان المؤمن وعقيدته.

إن الشيعة تقول: نحن وفي جميع المراحل كنا و لانزال مع أهل السنة مواكبين متقدمين على صراط الدين المستقيم، ولم نأخذ بالتقية الا نظراً لوحدة كلمة المسلمين فهناك كممنا الأفواه وكسرنا الأقلام.. ولكننا حينما بلغنا مفترق طرق المذاهب لم تسمح لنا فطرتنا و لاعقولنا وأفهامنا أن نرفع اليد عن أهل بيت النبوة ومعدن العلم والحكمة، لنتمسك بحجور تلامذتهم[1] فهل أن الفطرة تسمح للانسان مع امكان الافادة من رأس العين، وكون أنهار دجلة والفرات في متناول الأيدي، هل تسمح لنا فطرتنا أن نرفع الأيدي عن نبع العين الصافي والنهر الطاهر، لنقتنع بالجداول والأحواض الصغيرة؟!

وها أنا هنا احاول تفصيل أسس المذهب الشيعي مقارناً بساير المذاهب الأربعة في ثلاث مراحل:

في المرحلة الاولى: أحاول أن أقيم الدليل لاثبات اشتراط العصمة والطهارة عن

---

(١) سنثبت فيما بعد أن جميع الصحابة كانوا يرجعون الى علي عليه السلام، وأن أئمة المذاهب الاربعة كانوا من تلامذة الامام الصادق عليه السلام أو تلامذة مدرسة علي عليه السلام.

الذنوب في الامام بعد النبيّ، من مصادر مسلّم بما لدى أهل السنة. ثم نتنقل الى:

المرحلة الثانية: تنزلاً عن المرحلة الاولى، نفترض عدم ثبوت المرحلة السابقة، ومع غضّ النظر عن المرحلة السابقة نرى أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد قرّرنا تكليفاً قطعياً بالرجوع الى أهل بيته والتمسك بهم في أمور الدين والدنيا، ثم نتنقل الى:

المرحلة الثالثة والأخيرة، فنرى ـ ومع قطع النظر عن المراحل السابقة ـ أن المذهب الشيعي أقرب الى الحق والصواب، وأبعد عن مهوى الخطأ والضلال.

فالى المراحل الثلاث، وعلى الله الاتكال.

***

المرحلة الاولى

بُرهان الحكمة والكلام
في اشتراط العصمة في الامام

تقول الشيعة: كما تُشترط العصمة والطهارة عن الذنوب في النبيّ والرسول باتفاق جميع فرق الاسلام، كذلك نراها نحن شرطاً حتمياً في الامام بعد الرسول أيضاً. وقد احرزنا نحن العصمة في علي والأحد عشر من أبنائه عليهم السلام.

والبرهان على ذلك يتوقف على مقدمات ثلاث:

الاولى: أنّ ماهو ذليل على لزوم ارسال قائم على نصب الأوصياء والأئمة المعصومين.

الثانية: وجوب اللطف على اللطيف الخبير يقتضي ذلك.

الثالثة: لزوم نقض الغرض مع ايكال الأمر الى امام غير معصوم.

بيان المقدمة الاولى:

لقد ثبت في بحث النبوة أن ارسال الرسل وانزال الكتب من قِبل الله تعالى، يكون لأهداف ثلاثة: للتربية، والتعليم، وتطبيق العدالة.

وعليه، فلننظر الى هذه الأهداف ولندرسها هل تحققت على عهد رسول الله وبوجوده الشريف؟ فهل تمتّع جميع أفراد الأمة من هذه النعم الثلاث؟ بحيث لم يبق لما بعد رحيله أيّ حاجة اليها؟ أم لا؟ فان كانت قد تحقّقت فلاحاجة الى تعيين الخليفة ونصب الامام، وإن لم تتحقّق فنفس الداعي الى ارسال الرسول يدعو بل يوجب نصب الامام وتعيين القائم مقامه أيضاً.

وها نحن هنا على هذا الصعيد نبدأ الكلام، ونوكل الحكم الى القاراء الكرام.

***

عُلم أن ارسال الرسل كان لحصول غايات ثلاث هي: التربية، والتعليم، والعدل.

وحينما ندرس الأمر بالنسبة الى الغاية الاولى: التربية، نرى حيث أن أفراد الأمة لم يكونوا مجتمعين على عهد الرسول، بل كان وجودهم وجوداً طبيعياً متعاقباً في عمود الزمان يأتي ناس ويذهب ناس، فما لم ينقطع نسل البشر على وجه الأرض هم بحاجة الى مربّي آلهي يعتمد على تربيته الصالحة، حتى اذا لم يبق على وجه الأرض اكثر من اثنين فلابدّ أن يكون لاحدهما سمة التربية بالنسبة الى الآخر.

وهكذا بالنسبة الى العدالة؛ فمادام هناك مجتمع على وجه الارض كانوا بحاجة الى ناظم عادل.

إذن فهذان الوجهان من الحاجة الى الأنبياء والرسل لا يحصل الغنى عنهما في مقطع محدود من الزمان، فالحاجة اليهما دائمة حتى بعد ارتحال الرسول.

وعليه فنقول وبدون أيّ ترديد وبكل تأكيد: إن ثبوت تلك الحاجة كما هي السبب والعلة في ارسال الرسل، كذلك بقاؤها علة موجبة لنصب للامام والخلفية، لتأمين ذينك الشطرين من الغرض و الغاية لما بعد ارتحال الرسول.

أما بالنسبة الى الغرض الأول أي التعليم، فعلى القارىء الكريم أن يتوجه الى التفصيل التالي غير خارج عن جادّة العدل والانصاف والوجدان، لكي يصل معنا الى نتائج ايجابية.

لاشك في أن جهل الانسان بمصالحه الفردية والاجتماعية، وحاجته القطعية الى نظام الحياة، أوجبت بعثة الرسل وانزال الكتب وتدوين القوانين. وعليه فالغاية من ارسال الرسل والكتب التعليم لاخراجهم من ظلمات الجهل والضلال.

لكن يبقى علينا أن نرى أيّ مقدار من هذه الوظيفة تخصّ الرسول وهي على عهدته وذمّته، وأيّ مقدار منها يمكن تفويضها الى غيره من بعده؟

والذي يحصل كنتيجة للدراسة هو: أن الوظيفةالحتمية الخاصة بالرسول، وماهو على عهدة شخصه، انما هو تبليغ الاحكام ومجموعة القوانين الآلهية نظاماً للحياة، وهي التي يعبّر عنها بالكتاب والسنة.

ولكن الكتاب والسنة كسائر القوانين المدوّنة فيها كليات وقواعد ومجملات ورموز واشارات، وسائر ما يوجب الابهام والاجمال والاشكال، و يحتاج الى شرح وتفسير وبيان. وقد قام بقسم منه نفس الرسول حسب وُسع الوقت والزمان ومساعدة الاوضاع الداخلية والخارجية لعهد البعثة والنهضة. أما القسم الآخر الذي لم تسمح الظروف وسائر الأوضاع والابتلاءات المتوالية له صلى الله عليه وآله بذلك، حتى ارتحل، لم ترتفع حاجةالأُمة الى ذلك. وإلاّ، فلو كان الشرح والتفسير لكل القواعد، وبيان جزئيات الاحكام قد حصل على عهده لم يكن هناك أيّ داعٍ الى كل هذا الخلاف القائم في أُمته من بعده.

وعليه فالحاجة الى القسم الأهم من الشرح والتفسير للقواعد والقوانين، والتي هي جزء العلة الغائية لبعثته صلى الله عليه وآله، بالاضافة الى الجزئين الأخيرين من الغرض والعلة اي التربية والعدالة، لازالت باقية لما بعد رحلة الرسول.

وبعبارة اخرى وباضافة وتفصيل نقول:

إن التعليم الذي كان غاية للبعثة قد تحقق بوجود شخص الرسول صلى الله عليه وآله، لكن ليس من جميع الجهات وبصورة كلية، ذلك أن البعثة وتبليغ الاحكام انما أسس الشريعة، أما

جانب الاستمرار والبقاء والدوام ـ والذي هو الأهم من أصل التأسيس ـ فقد بقي مهدَّداً بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والذي كان ولا يزال يزلزل أساس الديانة ويحطّم في بنيان الشريعة بعد رحلة الرسول هو وجود أرضيّة الخلاف والافتراق، والذي هو بالبداهة يقتلع أساس أي مجتمع ويهدم كل بناء.

ووجود أرضية الخلاف في الشرائع ولاسيما شريعة الرسول صلى الله عليه وآله لامور ثلاثة:

١ ـ وجود موجبات الابهام والاجمال في الكتاب الكريم والسنة النبوية، كما نرى أن القرآن الكريم مصدر الاحكام يشتمل على محكمات ومتشابهات، وعام وخاص، ومجمل ومبيّن، ومطلق ومقيّد، ونصّ ومؤوّل، ورخصة وعزيمة، وصريح واشارة، وظاهر وباطن، وكليات وقواعد، وناسخ ومنسوخ وان كان وجود كل هذه في القرآن الكريم وسائر مصادر الاحكام عن مصالح وحِكَم. ولكن حاجة الأُمة من جهة هذه الأُمور الى مفسّر آلهي للكتاب ومبيّن للاحكام وشارح للقانون مما لا شك فيه ولا ترديد.

٢ ـ وجود الاختلاف الشديد في أفهام الأفراد من حيث الجودة والقريحة، والبَلادة والبلاهة، فبعض كما في قوله سبحانه: «إن هم الا كالأنعام بل هم أضل»[1] والبعض الآخر كما في قوله سبحانه: «يكاد زيتُها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور»[2].

٣ ـ وجود الأهواء والدواعي النفسانية والشيطانية المختلفة، من قبيل: حب الجاه، والمال، والاستقلال، وغير ذلك من العلل المعُدّة لاختلاف الأنظار وتشتت الآراء بين المفسّرين لكتاب الله وشرّاح حديث رسول الله.

وبعد التصديق بما ذكرناه نقول: لوكان الله ـ والحال كذلك ـ ومع علمه الأزلي بما سيحدث من موجبات الاختلاف والتشتت، لم يكن يخطّط للمنع عن هذا الاختلاف والتفرّق، بل كان

---

(١) الأعراف: ١٧٩.

(٢) النور: ٣٥.

يُهمل أمر تعيين القائد والامام بعد النبي «ص» كمرجع لاختلاف الامة وحارس لحدود الشريعة، لكان القرآن الكريم والشريعة ساحة واسعة وأرضية عريضة للمتلاعبين بالدين، ولكان الاختلاف يتسع بحيث تفتقد الأُصول والفروع من الدين حقائقها، ولكانت تصطبغ بصبغة اخرى سوى سبغتها، ولكان الدين يصبح غرضاً لنبال الأعداء، ولكان يصبح في معرض الفناء والزوال نتيجةً للتفرقة والاختلاف.

وعلى هذه المقدمة فانّ نصب الامام من قِبل الله تعالى، لغاية الممانعة عن اختلاف الامة، ولتفسير الكتاب والسنة واستمرار الشريعة، ولتحقيق التربية وتطبيق العدالة، وبعبارة أوجز: للزعامة ونظم أمور الدين والدنيا. إنما هو كارسال الرسل لتأسيس الشرائع وفقاً للنظام التشريعي الأصلح، وطبقاً لمصلحة صيانة الحياة الاجتماعية.

بيان المقدمة الثانية:

بعد التصديق بالموضوع الآنف الذكر وهو أن في نصب الامام مصلحة اجتماعية توازي وتعادل مصلحة بعثة الرسول، في هذه المقدمة نريد أن نفهم هل أنّ الوفاء بهذه المصلحة واجب على الله تعالى؟ أم لا؟ بل يجوز عليه أن يمتنع عن ذلك ويهمل الأُمة بعد رحلة الرسول لحالها؟ كلاّ لا يفعل ذلك من قال:

«أيحسب الانسان أن يُترك سدى»[1]، «أفحسبتم أنّما خلقناكم عبثاً»؟![2]، «وما خلقنا السماء والأرض ومابينهما لاعبين»[3]، «وما خلقنا السموات والأرض ومابينهما الا بالحق»[4].

---

(١) القيامة: ٣٦.

(٢) المؤمنون: ١١٥.

(٣) الأنبياء: ١٦.

(٤) الحجر: ٨٥.

وبعبارة اخرى: ان نظام التشريع كنظام التكوين، أي كما أن الله قد أوجد عالم التكوين وجميع الموجودات في العالَم وفقاً للنظام الأحسن والاكمال، بحيث لا يمكن للبشر أن يتصوّر أحسن منه واكمل، كما قال سبحانه: «الذي أحسن كل شيء خلقه»[1] و«ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت»[2].

كذلك يجب أن يضع أساس التربية والتعليم الدائم، والشريعة المستمرة، على أقوى الأُسس وأصلح نظام واكمل انضباط.

ولنبيّن قاعدة اللطف ببيان ساذج بسيط: إنّ كلّ عامل وصانع حينما ينوي عملاً ضرورياً لحاجته ومصلحته ويخطّط له في فكره ويشرع في العمل، يحاول حتى الامكان أن يختار لعمله أجمل الاشكال واكمل الأوضاع وأحسن الخطط، ولا يمكن أن ينحرف أو ينصرف عن حسن الاختيار وإعمال الذوق والسليقة حسب سعة فهمه وفكره وذكائه وفطنته، اللهم الا أن يكون مجنوناً مختبلاً.

وبعد التصديق بهذه المقدمة نسأل: إن نصب الامام وتعيين الخليفة بكل ما فيه من فوائد ومصالح، إن لم يكن مقتضى العدل وتركه ظلماً، أليس هو وفق النظام الأصلح واختيار الأحسن؟! أفهل يمكن أن الله تعالى مع ماله من العلم والحكمة واللطف والعناية يمتنع عن هذا العمل الأساسي الصالح والنافع؟! نعم، من الممكن للانسان وبفعل حبّه لذاته ومصالحه ان يغض النظر عن مصالح ابناء نوعه والمصالح العامة فيقدّم منافعه الشخصية على المصالح العامة، ولكن من الغلط الباطل أن نحتمل هذا الاحتمال بحق الله الغنيّ المطلق تعالى!

هل يمكن أن يكون الله اللطيف الذي لم يهمل حسن صورة الانسان و جمال شكله وتناسب أعضائه في حين أن ليس ذلك أمراً ضرورياً له، وقد أوجد كل هذا العالَم لتأمين حاجاته، ولم يغفل

---

(١) السجدة: ٧.

(٢) الملك: ٣.

عن أصغرها من غير الضروريات.. هل يمكن أن يبخل أو يقصّر عن هدايته الى موجبات سعادته في أصلح نظام تشريعي اجتماعي؟ ويهمل حاجة كهذه من حيث الضرورة ومن أهم مصالحه الاجتماعية والحياتية؟! حاشا وكلاّ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

إذن، فكما ان لطفه استلزم تأسيس الشريعة ببعثة رسول الله، فنفس ذلك اللطف وتلك العناية توجب ابقاءها واستمرارها بنصب امام لها بعد النبيّ «ص».

وبعبارة اخرى: إن الوجود التشريعي كالوجود التكويني، فكما أنّ كل موجود تكويني يحتاج الى علة مُبقية له بعد علة حدوثه، كذلك الوجود التشريعي ـ أي الشريعة الباقية ـ تحتاج الى علة مُبقية له هو الامام بعد العلة المُوجدة وهو الرسول «ص» وكما اقتضى لطف الله تعالى بعث الرسول كذلك يوجب نصب الامام بعد الرسول لنفس السبب والغاية.

المقدمة الثالثة

عُلم من المقدمتين السابقتين أن نصب الامام من قِبل الله تعالى واجب حتمي.

وفي هذه المقدّمة: لابدّ أن نرى فيما لو لم يكن ذلك الامام المنصوب معصوماً فهل يحصل الغرض من نصبه؟ أم لا؟

ونقول: كلاّ، فان العقل يقضي بأنّ الانسان العاقل المدبّر المفكّر في عواقب الأمور، فيما لو باشر عملاً لغرض خاص، وأعدّ مقدمات للحصول على نتائج مرجوّة، فانّ عليه أن يُعدّ المقدّمات ويعمل العمل بحيث يكون حصول الغرض وترتيب النتائج قطعياً، وإلاّ فلو أعدّ المدّمات بحث لا يعود معها حصول الغرض والوصول الى النتائج المرجوة قطعياً بل مشكوكاً ـ فضلاً عما اذا كان عدم حصول الغرض قطعياً ـ فانه لا يمكن أن يُحسب هذا العمل عملاً عقلانياً والعامل عاقلاً.

وبعبارة اخرى أوضح نقول: إن الأساس الذي يؤسّسه الله سبحانه لابدّ أن لا يتخلّف عن حصول الغرض والغاية، فكما لا نجد في التكوينيات تخلّفاً للأثر عن المؤثر، وانفكاكاً للمعلول

عن العلّة، مهما بحثنا وفحصنا عن ذلك، كذلك لابدّ أن لا نجد في التشريعات تخلّفاً للغرض والغاية منها؛ ذلك أنّ نظام التشريع يوافق نظام التكوين كما مرّ.

وعليه، فان البصير مع الالتفات الى موضوع البحث فيما لو فكّر في تطبيق مورد البحث على ذلك الأصل يجد أن الامام المنصوب من قِبل الله تعالى فيما لو كان فاقداً لصفة العصمة، فان تلك الأغراض والغايات المقصودة من نصب الامام سوف لا نأمن على حصولها، وان تلك النتائج المرجوّة سوف لاتترتب على تلك المقدمة.

ذلك أنّ الضمير والوجدان في الانسان يشهد بأن مقال الامام في تفسيره وشرحه للسنّة مع عدم اتصافه بالعصمة، سوف لايجد ان من الانسان ذلك الاطمينان اللازم والأثر النافع في النفس. إذن فنصب هكذا امام سوف لا نصل الى دفع الشكوك والشبهات ورفع التشتت والاختلافات، وسوف لن تكون أوامره ونواهيه واجبة الاطاعة عقلاً ولا لازمة الاجراء والتنفيذ شرعاً وعليه فلا تتحقق صيانة النظام الاجتماعي بصورة عادلة، ولا التربية الصالحة حتماً.

والخلاصة: أن مقتضى المقدمة الثانية كان أنّ نصب الامام لحصول تلك النتائج والفوائد والعوائد واجب على الله حتماً ومع عدم صفة العصمة أي مع وجود احتمال حدوث الخطأ وصدور المعصية منه فالعقل يحتمل أن يصف الحرام بالوجوب والواجب بالحرام في مقام بيان الاحكام، فلا يحصل الاطمينان بأقواله في شرح الكتاب والسنة، فلا يحصل بنصبه رفع التشتت والاختلاف ودفع الشكوك والشبهات وأيضاً مع عدم العصمة يحتمل العقل أنه في أوامره ونواهيه يتبّع هوى نفسه والهوا جس الشيطانية فيه فيأمر بالمعصية والذنب ويصدّر الاحكام بغير العدل والقسط و بخلاف ما أنزل الله. إذن فالانسان بحكم عقله لايرى احكامه واجبة الاطاعة ولازمة التنفيذ من قبل الله سبحانه، ولا يخضع أحد لأوامره ونواهيه عن عقيدة وايمان، وعليه فلا ينتظم المجتمع على وجه العدالة بصورة حتمية، ولا نحصل على التربية الصالحة كذلك. وعليه فلا تعود علينا تلك العوائد المترقّبة من نصب الامام وهي: رفع الاختلاف والافتراق بين الأُمة،

وصيانة الشريعة، واستمرار النظام الاجتماعي، وتطبيق العدالة، وتهذيب النفوس والتربية والتعليم، بل مع وجود غير متصف بالعصمة ستعقبه الأخطار والعواقب السيئة التي كانت تترتب على عدمه كذلك. في حين أنه حسب المقدمة السالفة لا ينبغي بل لا يجوز أن تتخلّف الغايات الالهية، ولا أن تنتقض الأغراض الالهية.

ومن هنا نحصل على النتيجة المطلوبة وهي: أن الامام المنصوب من قِبل الله يجب أن يكون معصوماً.

ولنصرّح بوضوح: بأن نفس المخاطر الناتجة من الاختلافات والتي قلنا انها تهدد الاسلام بالخطر، والذي استوجب أن يجتمع المخلصون من المثقفين والمتنوّرين في القرن الرابع الهجري، وبعد تبادل الأفكار والآراء ـ وبجهلهم أو تجاهلهم عن العلاج الحقيقي للعلّة والألم، وعلى أثر تركهم لحكم الرسول وعدم تمسكهم بالعترة ـ طرحوا خطّة حصر المذاهب الفقهية الاسلامية في الأربعة وصوّتوا عليها، ونفّذوها بأيدي الخليفة العباسيّ الحاكم يومئذٍ «القادر بالله».. هذه الاختلافات كانت سابقة في علم الله العليم الحكيم، وكان قد أعدّ طريق علاج الواقعة قبل وقوعها.. أي أنه عيّن إماماً معصوماً لمرجعية الأُمة ورفع اختلافها وتشتتها، وصيانة نظامها الاجتماعي، وتطبيق العدالة، والتربية والتعليم الى يوم القيامة، وأبلغ ذلك التعيين بواسطة رسوله.

كان هذا موجزاً عن لزوم نقض الغرض في نصب الامام غير المعصوم، نجعله هنا في معرض رؤية القرّاءِ الكرام.

أضف الى ذلك أن نصب الامام غير المعصوم من قِبل الله يستلزم محذوراً آخر، وهو مشاركة الله تعالى معه في أخطائه وجرائمه وجناياته، ولهذا فقد تبرّ الله من ذلك في قرآنه الكريم في سورة البقرة إذ قال: **«وإذ ابتلى ابراهيم رَبُّه بكلمات فأتمهنّ، قال: إني جاعلك للناس اماماً قال: ومن ذرّيتي؟ قال: لاينال عهدي الظالمين»**[1].

---

(١) البقرة: ١١٩.

موضع الاستدلال قوله سبحانه: «لاينال عهدي الظالمين» أي لاينال الظالمين أن أعهد اليهم الامامة من قِبلي، وغير المعصوم قد يتبع إغواء الشيطان وهوى نفسه وحينئذٍ يكون مصداق الظالمين إذن فمفاد الآية: أنّ عهد الامامة من قِبل الله لن ينال غير المعصومين.

وعُلم من بيان هذا البرهان أن الله تعالى هو المتعهّد بنصب الأئمة أولاً، إلا أن تبليغ ذلك كسائر الامور على عهد رسوله، فهذا العمل كسائر أعماله انما يتحقّق بارادة الله وأمره.

الى هنا عُلم ما تدّعي الشيعة بصورة الكبرى الكليّة. أما صغرى دعوى الشيعة فلابدّ أن نرى فيمن تثبت صفة العصمة بعد النبيّ؟ كي نتبّعه بحكم العقل والعدل؟

والشيعة تقول: هل في صحابة رسول الله وأهل بيت النبوة من تُدّعى له العصمة سوى علي وفاطمة والحسن والحسين؟

وقد اشترطنا نحن في هذا الكتاب على أنفسنا شرطاً لازم الوفاء أننا في اثبات عقائد الشيعة ودعاويهم نصرف النظر عن كتبهم وتواريخهم بصورة كلية، وانما نثبتها من مصادر وتواريخ أهل السنة فحسب:

خذوا كتاب «ينابيع المودة» واقرأوا الباب ٣٣ بدقة وتأمل، فانظروا في حق من نزلت آية التطهير: «إنّما يريد الله ليذُهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»[1] ومَن هم الذين خصّهم النبيّ بهذه الآية؟[2].

انكم ترون في هذا الباب اكثر من عشرين حديثاً ورد بعضها في صحيحي مسلم والترمذي، وتتفّق كلها في الدلالة على اختصاص نزول الآية بالخمسة الطيّبة أصحاب الكساء: نفس الرسول الأعظم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام. وحتى أنّ ام سلمة كلما حاولت باصرار والحاح أن تُدخل نفسها فيهم لم يقبلها رسول الله.

---

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) ينابيع المودة: ١٠٧.

وانظروا كتاب «مطالب السؤول» أيضاً تجدوا أن الآية قد وردت بشأن أهل البيت، وقد خصّص النبيّ أهل بيته في الآية بعلي وفاطمة والحسنين (ع) إذ قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذْهِب عنهم الرجسَ وطَهّرهم تطهيراً»[1].

إن الأدلة على هذا الموضوع كثيرة ووافرة الدلالة بحيث اعتقدوا والتزموا بعصمة عترة النبيّ واختصاص علي عليه السلام بذلك من بين كل الصحابة، مع عدم اشتراطهم العصمة في الامام. يقول ابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي البغدادي في شرحه لنهج البلاغة:

«فان قلت: فهذا القول منه يُشعر بأن العترة معصومة، فما قول أصحابكم في ذلك؟

قلت: نصَّ أبو محمد بن مَتّويه في كتاب «الكفاية» على: أن علياً عليه السلام معصوم، وإن لم يكن واجب العصمة لكن أدلة النصوص قد دلّت على عصمته. وإن ذلك أمر اختصّ به من دون غيره من الصحابة والفرق ظاهر بين قولنا: زيد معصوم، وبين قولنا: زيد واجب العصمة لأنه امام، و من شرط الامام أن يكون معصوماً. فالاعتبار الأول مذهبنا، والاعتبار الاثاني مذهب الامامية»[2].

وأيضاً يروي صاحب «ينابيع المودة» حديثاً يرويه عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله يقول: «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من وُلد الحسين مطهّرون معصومون»[3].

ومن التاريخ يكفي شاهداً على عصمتهم عليهم السلام أنك لو تصفّحت كل أوراق التواريخ والسير وقرأتها بكل تأمّل ودقّة، فانك لن تجد لهم أقلّ عمل على خلاف المروءة والانصاف أو غلط واشتباه، بل لن تلاحظ لهم سوى المدح والمنقبة والفضيلة والكمال والسموّ في العلم والمعرفة، في حين أن الأقلام كانت بيد أعدائهم والألسن كانت في أفواه قاتليهم من بني أمية وبني العباس، بينما كانت الألسن جافّة في أفواه أحبّائهم والأقلام مكسورة بأيديهم، ثمانين عاماً في دولة بني أمية وخمسمئة وأربع وعشرين عاماً مدة خلافة بني العباس!.

---

(١) مطالب السؤول: ٢٥.

(٢) شرح نهج البلاغة المعتزلي البغدادي ٦: ٢٧٦.

(٣) ينابيع المودة: ٢٥٨.

لاحظوا بدقة وقارنوا جيّداً أليس التاريخ الذي كان مدة اكثر من ستمئة سنة يكتب ويُسجّل بأيدي أعدائهم ثم لم يقدر على أن ينسب اليهم أقل غلط واشتباه وخلاف.. أليس هو شاهداً جليّاً ودليلاً على طهارة حجورهم وعظمتهم الفائقة؟! أفهل سمعنا بمثل هذا في آبائنا الأوّلين؟

وانصافاًنقول:اننا لو بحثنا هذه القضية فقط ودرسناها بدّقة وتأمّلنا فيها جيّداً لصدّقنا بعظمتهم وشخصيتهم الفائقة والخارقة للعادة الى مالانهاية! وأنّ هذه الصيانة المقدّسة لم تحصل لهم مع كل تلك الدواعي الى الخلاف عليهم، الا بالصيانة الغيبية الآلهية، وإلاّ فليس من المعقول بل ليس من المحتمل أنّ زعماء تلك المدة الستمئة سنة، والذين كانوا في شدة عدائهم لهم مستعدّين لبذل الأموال والأنفس وتحمّل الشدائد الكثيرة في سبيل محو آثارهم واراقة دمائهم ودماء الآلاف من الأبرياء من أوليائهم.. لم يكن من المعقول أن يكون هؤلاء يحذرون أو يحتاطون من نسبة السوء اليهم وبهتانهم واتّهامهم. بل لابدّ لنا من التصديق بأنهم مع شدة اهتمامهم باشاعة التهم البذيئة والصاق النسب الكاذبة بهم، كانت أنوار فضلهم وكمالهم تخرق حجب الظلمات والستائر السود من التُّهم والافتراءات، وأن حرارة شموس فضائلهم وكمالاتهم كانت تفتّع عنهم بُقع غمائم غدرهم وتمحوها عنهم.

فلو أن بني أمية وبني العباس كانوا ينتفعون من اشاعتهم للمعايب والمثالب على أهل البيت عليهم السلام، ويرون من ورائهما الأثر الكافي، لما كانوا يتحمّلون ذلك التعب المضني في امحاء ذكرهم عن الأفواه والألسن، وحبّهم عن قلوب شيعتهم، ولما كانوا يلطّخون حجورهم بدمائهم الطاهرة، ولما كانوا يتركون صفحات التاريخ مسودّة مظلمة من بُقعهم السوداء.

إن من الانصاف في الحق أن تاريخ حياتهم الذي كان في كل تلك المدة الطويلة نسبياً تحت إشراف اولئك الأعداء غير النزيهين، ومع ذلك يبدو اليوم لنا طاهراً نزيهاً بل متلألئاً مجليّاً.. من الحق أن نسمّي هذا التاريخ معجزة حقاً ومن دون أي ترديد في ذلك.. فذلك التجلّي لهم بالنزاهة في صفحات تاريخ المخالفين لهم لم يكن و ليس الا نموذجاً بالارزاً وشاهد صدق للآية

الكريمة: «والله متمّ نوره»[1] و«والله غالب على أمره»[2].

كان هذا شرحاً مختصراً ونموذجاً من الدلائل الواضحة على عصمة أئمة الشيعة. ونظراً الى الاختصار إنما اكتفينا من كلّ من الكتاب والسنة والتاريخ بذكر نموذج واحد.

وهنا انتهى بحثنا في المرحلة الاولى، فعلم ـ كنتيجة للبحث ـ وجوب لزوم العصمة في الائمة بحكم العقل والشريعة. وثبتت عصمة علي وفاطمة وأبنائهما الاحد عشر أيضاً. وعليه فالشيعة ترى أنها بحكم العقل ملزمة باتّباعهم وطاعتهم؛ ذلك أنّ معنى عصمتهم هو أن الله قد «عصمهم من الزلل وآمنهم من الفتن وطهّرهم من الدنس وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»[3] بمعنى أن علمه متصل بعلم الحق تعالى، وأمره ونهيه منوط بأمر الله وارادته. فكما أن العقل يرى أمر الله ورسوله واجب الطاعة عليه كذلك يرى أمر الامام المعصوم أيضاً واجب الطاعة. ولامعصوم في الصحابة، ولا في أئمة المذاهب الأربعة من السنة سواهم.

***

(١) الصف: ٨.

(٢) يوسف: ٢١.

(٣) من الزيارة الجامعة لأئمة الهدى عليهم السلام، كما في آخر مفاتيح الجنان.

المرحلة الثانية

تقول الشيعة: نحن لو تنزّلنا عن المرحلة السابقة ـ وهي مرتبة راقية ـ ونتراجع القهقرى، أي أن نلغي حكم العقل، ونغض النظر عن آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة المفيدة لعصمة الأئمة من أهل بيته عليهم السلام.. مع ذلك، حينما نطّلع على أوامر الرسول الكريم حيث قرّر تكليفنا القطعيّ في أمور ديننا ودنيانا الرجوع الى أهل بيته والتمسك بعترته، وجعل قيادتنا وهدايتنا على كواهلهم.. وأيضاً حينما نقف على آيات عديدة من القرآن الكريم ألزمَنا الله تعالى فيها بطاعة رسوله فقال: «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»[1] و «ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم»[2] فعلى افتراض عدم الاعتراف بعصمتهم وأعلميتهم من سائر الصحابة، مع ذلك لا يمكننا أن نرفع اليد عن متابعة عترة الرسول وأهل بيته، وأن نتخلّى عن طاعة أمر الرسول في ذلك، بل عن أمر الله في ذلك.

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) الأحزاب: ٣٦.

واليكم الآن هنا شطر من أحاديث الرسول الكريم التي أمر فيها أمته باتباع عترته، ومن الله الهداية والارشاد:

اقرأوا في الباب الخامس من كتاب «ينابيع المودة» الأحاديث الشريفة التالية:

١ ـ مثَل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى، ومن تخلّف عنها غرق.

٢ ـ انّما مثَل أهل بيتي فيكم مثَل باب حِطّة في بني اسرائيل، من دخله غُفر له.

٣ ـ إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا على الحوض كهاتين ـ وأشار بسبّابتيه ـ لا كهاتين ـ وأشار بالسبّابة والوسطى ـ فتمسكوا بهما، لن تضلوا، ولا تقدّموا عليهم، ولا تتخلّفوا عنهم، ولا تعلّموهم فانهم أعلم منكم.

٤ ـ ياعلي، أنا مدينة العلم وأنت بابها، ولن تؤتىٰ المدينة الا من قبل الباب. وكذب من يقول انه يحبّني، ويبغضك؛ لأنك منّي وأنا منك، لحمك من لحمي، ودمك من دمي، وروحك من روحي، وسريرتك من سريرتي وعلانيتك من علانيتي. سَعُدَ من أطاعك وشقى من عصاك، وربح مَن تولّاك وخسر من عاداك، فاز من لزمك وهلك من فارقك. مثَلك ومثَل الأئمة من ولدك بعدي مثَل سفينة نوح، من ركبها نجى، ومن تخلّف عنها غرق. ومثلكم كمثَل النجوم كلّما غاب نجم طلع نجم الى يوم القيامة[1].

لاحظوا جيّداً وقارنوا متأكدّين، لو كانت طائفة الشيعة اتّخذت طريقة سوى هذا الدستور وغير هذه التوصيات الاكيدة، والتي هي مِلء تصانيف أهل السنة، فانقدوهم وخطّئوهم.

ولتساءل: ماذا كان على النبيّ أن يستعمل من الألفاظ لتعيين الامام والقائد والمرجع للامة لما بعده؟ بأيّ عبارة كان عليه أن يعبّر؟

أفلا تكفي آية الولاية: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة

---

(١) ينابيع المودة: ٢٧ ـ ٤١.

ويؤتون الزكاة وهم راكعون»[1]؟

ولاتكفي واقعة الغدير ونزول آيتها فيها: «يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل اليك من ربك، وان لم تفعل فما بلّغت رسالته، والله يعصمك من الناس»[2]؟

ولا تكفي قولته صلى الله عليه وآله فيه: «عليّ امام كل مؤمن ومؤمنة بعدي. عليّ امام البررة، علي إمام المتقين وسيد الوصيّين. عليّ إمام أوليائي، علي امامكم بعدي» الى غير ذلك من الآيات الظاهرة والأخبار الصريحة في تعيين علي عليه السلام للامامة والقيادة للامة؟ والتي نجدها في كتب أهل السنة قبل الشيعة.

أفهل ينطبق الحديث النبوي الشريف: «إن الخلفاء بعدي اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش» على مذهب آخر سوى مذهب الشيعة الاثنى عشرية؟ وهو ماورد في «صحيح البخاري» بثلاث طرق، وفي «صحيح مسلم» بتسع طرق، و في «صحيح أبي داوود» بثلاث طرق، وفي «صحيح الترمذي» بطريق واحد، وفي «سنن الحميدي» بثلاث طرق، ونقله يحيى بن الحسن في كتابه «العمدة» من عشرين طريقاً. وقد جاء في بعض طرقه بدل «كلهم من قريش»: «كلهم من بني هاشم»[3].

فان قرأتم ذلك ولم تقتنعوا فانظروا ألايفسّر ذلك الحديث ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله قال:

«إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر أوّلهم علي وآخرهم ولدي المهدي».

وأوضح منه لتفسير مامرّ أخبار أُخر: منها مارواه الحموينى في «فرائد السمطين» بسنده عن

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) ينابيع المودة: ٤٢٤ ـ ٤٢٦.

مجاهد عن ابن عباس قال: قدم يهودي يقال له نعثل فقال:

يا محمد؛ أسألك عن أشياء تلجلج من صدري منذ حين، فان اجبتني عنها أسلمت على يديك.

قال: سل يا أبا عُمارة.

فقال ـ فيما قال ـ: أخبرني عن وصيك مَن هو؟ فما من نبيّ الا وله وصي، وإنّ نبيّنا موسى بن عمران أوصى الى يوشع بن نون فقال: إن وصيّي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين.

قال: يا محمد؛ فسمّهم لي.

قال: إذا مضى الحسين فابنه علي، فاذا مضى علي فابنه محمد، فاذا مضى محمد فابنه جعفر، فاذا مضى جعفر فابنه موسى، فاذا مضى موسى فابنه علي، فاذا مضى علي فابنه محمد، فاذا مضى محمد فابنه علي، فاذا مضى علي فابنه الحسن، فاذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي. فهؤلاء اثنا عشر»[1].

وهنا لتوضيح مدّعى الشيعة ـ وليس لانتقاد أهل السنة ـ أتساءل:

لو كان يحقّ للخليفة الأول أبي بكر تعيين الخليفة من بعده، ولذلك عيّن الخليفة الثاني، فبأي لفظٍ عيّنه؟ أفهل كان في المنشور الذي أصدره لتعيين عمر بن الخطاب من بعده كلمة اخرى سوى كلمة «إني عهدت الى عمر بن الخطاب»؟ فكيف ثبت لعمر ما كان من منصب الخلافة ومقام الامامة لنفس الخليفة الأول بهذه الكلمة الواحدة؟ ولا تستفاد امامة علي وقيادته للأمة، ولا أقل من أمور الاحكام وبيان الحلال والحرام، من كل تلكم العبارات المتعددة والمختلفة والتي هي أصرح من عبارة الخليفة الأول؟!

يقول مؤلف هذا الكتاب: نحن لا كلام لنا في هذه الرسالة عن الخلافة والزعامة على الأمة بعد

---

(١) ينابيع المودة: ٢٤٠ ـ ٢٤١.

نبيّ الرحمة، ولكنّي أقول: أفلا ينزل قادة أهل السنة ـ مع هذه الأدلة الأوضح من الشمس ـ عن مركب العناد واللجاج، ليعترفوا ويلتزموا على الاقل بامامة علي في الفقه الاسلامي و أحكام الدين؟!.

وخلاصة كلام الشيعة في هذه المرحلة هي:أننا بعد غض النظر عن المرحلة الاولى، وصرف النظر عن وجوب عصمة الامام، وغمض العين عن الآيات والأخبار الدالة على عصمة علي والأحد عشر من أبنائه عليهم السلام، فمع هذه الأحاديث النبوية الشريفة التي مرّت على القاريء الكريم، والتي قد عيّن فيها النبيّ لنا تكليفنا القطعي بالرجوع الى أهل بيته وعترته، وخصّ منهم علياً والأحد عشر من أبنائه بوصفهم أئمة وقادة لنا، عرّفنا بهم.. مع هذا لايمكننا أن نولّي ظهورنا لأوامر الرسول، فنرفع اليد عن حجور أئمتنا، ونتبّع في احكام الدين وفقه الاسلام غيرهم، حتى ولو غضضنا أبصارنا وافترضناهم غير معصومين أو غير أعلم ممن سواهم من الصحابة وغيرهم.

أفهل كان لأحد حقّ الاعتراض على النبيّ صلى الله عليه وآله لما قرّر أن يكون أُسامة بن زيد بن حارثةالشيباني اليماني أميراً على الجيش الى مؤتة الشام، وهو شاب في الثالثة والعشرين من عمره، وجعل الرجال الكبار ذوي السوابق وأصحاب السبعين من العمر كأبي بكر وعمر وغيرهما ـ سوى علي والعباس ـ تحت قيادته.. أفهل كان لاحد حق الاعتراض عليه بأنه ليس من المناسب قيادة شاب قليل التجارب على الرجال في السبعين من أعمارهم ومن ذوي السوابق؟ ألم تروا أنهم ـ ومن دون أيّ اعتراض ـ سلّموا وانقادوا لأمر رسول الله؟ وخضعوا لامارة ذلك الشاب؟!

فكذلك نحن الشيعة، وفقاً لتلك الأخبار المارّة الذكر والمتواترة عنه صلى الله عليه وآله علمنا علماً تاماً بأمر الرسول بطاعة أهل بيته وعترته أي عليّ والأحد عشر من أبنائه عليهم السلام، ولذلك عملنا بأوامرهم في فقه الاسلام، ولا علينا بعد ذلك أنّ أيّاً من صحابة الرسول مقدم رتبة ومقاماً وأيّهم مؤخر في ذلك، وأيّهم الفاضل وأيّهم المفضول.

وفي نهاية هذه المرحلة نجد مجالاً لسؤال مازح يقول: أفهل هناك كلام في تقدم أهل بيت

النبيّ على أئمة المذاهب الأربعة بحـب الفضيلة والشرف أم تأخرّهم عنهم؟! وهل ورد نصّ أو أمر من قبل الرسول بطاعتهم واتّباعهم؟! أم لا؟!

ولتجاوز هذه الاحتمالات المحيّرة! ولنأت على آخر مراحل الاستدلال.

***

المرحلة الثالثة

هذه المرحلة سهلة ساذجة، لاحاجة فيها الى اجالة الفكر والنظر، واعمال العقل والبصر. هذه المرحلة هي مرحلة المحكمة، محكمة الفطرة والعواطف والأحاسيس، وشهودها: التواريخ بتصديق علماء أهل السنة، وما على عهدة الشيعة في هذه المرحلة انما هو اقامة البيّنة والشهود العدول.

تقول الشيعة: هل إن فضل عليّ وأعلميّته على ساير الصحابة، وأهل بيت النبيّ على سائر التابعين وتابعي التابعين، مورد شك وترديد؟

فان كنتم مصدّقين بهذا المقام وهذه الرتبة والشخصية لهم، من خلال الدلائل المذكورة وأمثالها بالآلاف، والتي هي ملء كتبكم وتصانيفكم، فان الفطرة الآلهية والاحساس والعاطفة نعم الحكم العدل والقاضي الفصل بأنه: مع التمكّن من التوصل الى الاستاذ الماهر والبروفيسور الكامل، لاينبغي العدول والتجاوز عنه الى تلميذه، ذلك أن الخواطر لا ترتاح من التحيّر بدون التمسك بالحبل المتين والحصن الحصين، أي العناصر الكاملة في العلم والعمل. وعليه فالشيعة في تمسكها بالعروة الوثقى والحبل المتين من عترة رسول الله، لم تسلك أي سبيل سوى صراط الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولم تتّخذ سبيلاً سوى العمل بمقتضى الطبع السليم والعقل

المستقيم. وبعبارة اخرى: انها لم تجعل برنامجها العمليّ شيئاً سوى سيرة العقلاء والنظام المعمول به لدى كل أهل الدنيا. غاية الأمر أن لو كان هناك من يدّعى عليهم الخطأ فى تشخيص الموارد والمصاديق، فعليه أن يحاول اقناعهم بدليل واضح. لاأن ينسبهم الى الغلّو والزندقة والتّهم الاخرى بلا تأمّل في ذلك.

ولقرارنا الاختصار اليكم نماذج من تلك الشواهد، نجعلها في متناول القّراء:

بدهي أن مناط الفضيلة والشرف في الانسان ينحصر في العلم والعمل به. ونكتفي نحن هنا لاثبات هذا المناط في حق علي عليه السلام على أعلى المستويات، بخبرين مقبولين لدى الفريقين:

أما علم علي عليه السلام فقد روى ابن المغازلي وموفق الخوارزمي أخرجا بسنديهما عن علقمة عن ابن مسعود قال: كنت عند النبيّ صلى الله عليه وآله فسُئل عن علم علي، فقال: «قُسّمت الحكمة عشرة أجزاء فاعطي علي تسعة أجزاء، والناس جزءً واحداً، وهو ألمّ بالعُشر الباقي»[1].

ونقول في سموّ مرتبته في العمل: لو لم يكن في ذلك سوى ذلك الحديث المعروف الذي خاطب به رسول الله علياً عليه السلام يوم حرب الخندق بعد قتله لعمرو بن عبدوَدّ:

«لوُوزن عملك اليوم بعمل أمتي لرجح عملك بعملهم»[2].

«ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين»[3].

لو صرفنا النظر عن جميع الآيات والأحاديث الواردة بشأن علي عليه السلام لكفى هذان الخبران المعتبران للمنصف في سموّ مقام علي عليه السلام من حيث العلم والعمل، لكي يعرف منهما استحقاقه للامامة والقيادة. في حين أنه بالاضافة الى ما ورد من الأحاديث التي لاتعد ولاتحصى كثرة، وهي صريحة أو نصّ في أفضلية علي عليه السلام أو أعلميته على سائر الصحابة

---

(١) ينابيع المودة: ٧٠.

(٢) ينابيع المودة: ٩٢.

(٣) نفس المدر.

بعد النبيّ، بالاضافة الى ذلك فقد نقل السيد القندوزي الحنفي في «ينابيع المودة» أن هناك ثلاثمئة آية في مدح علي (ع) وربع القرآن بحق كل أهل البيت عليهم السلام[1].

ويقول مؤلف الكتاب: نحن هنا نكف القلم عن ذكر سائر الشواهد والدلائل، لكثرتها ووفورها، وعجزنا وقصورنا، والتسليم به بين جمهور أهل السنة، ونختم هنا البحث حول الآيات والأحاديث النبوية الشريفة، ونتحاكم الى القارىء الكريم: هل وصل الينا بشأن غير علي عليه السلام عُشر مامرّ؟ مع غضّ النظر عن صحة سنده وسقمه ونقده. أم هل سُمع في قاموس العقل وعرف العقلاء ملاك سوى المرتبة الفائقة في العلم والعمل للامامة الروحية والقيادة الدينية؟!

لوكان المخطِّئون للشيعة في اتّباع علي عليه السلام يجيبوننا عن هذا السؤال ويضعون أمام القرّاء الكرم أدلّتهم على ذلك، فنحن مستعدون أن لو أحرزنا ـ بعد الدراسة والموازنة بين أدلتهم وأدلتنا ـ رجحان أدلتهم على أدلتنا، أن نرفع اليد عن طريقنا ونعلن للملأ عن خطائنا.. واليكم الشواهد التاريخية:

الشاهد الأول:

عبدالحميد بن أبي الحديد المعتزلي الشافعي البغدادي المدائني في المجلد الأول من شرحه لنهج بلاغة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام، بعد ما يُنهي جميع العلوم الاسلامية الى علمه عليه السلام ويصف جميع علماء الاسلام في كل علم بأنهم تلامذة مدرسته ومتطفّلون على موائد احسانه ومعارفه التي لا تنتهي، حتى يصل الى علم الفقه فيقول: «أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني وغيرهما فقد أخذوا عن أبي حنيفة . وأما الشافعي فقد قرأ على محمد بن الحسن الشيباني، فيرجع فقهه أيضاً الى أبي حنيفة. وأما أحمد بن حنبل فقد قرأعلى الشافعي فيرجع فقهه أيضاً الى أبي حنيفة. وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام وقرأ

(١) المصدر، باب ٤٢: ١٢٤ ـ ١٢٦.

جعفر على أبيه عليه السلام وينتهي الأمر الى علي عليه السلام. وأما مالك بن أنس فقد قرأ على ربيعة الرأي، وقرأربيعة على عِكرمة، وقرأعِكرمة على عبدالله بن عباس، وقرأعبدالله بن عباس على علي بن أبي طالب عليه السلام[1]. وان شئت رددت اليه فقه الشافعي بقراءته على مالك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة. وأما فقه الشيعة فرجوعه اليه ظاهر.

وأيضاً فان فقهاء الصحابة كانوا: عمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس، وكلاهما أخذا عن علي عليه السلام. أما ابن عباس فظاهره وأما عمر فقد عرف كلُّ أحد رجوعه اليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقولَه غير مرّة: لو لاعلي لهلك عمر، وقولَه: لابقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن، وقولَه: لايُفتينّ أحد في المسجد وعلي حاضر. فقد عُرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه اليه.

وقد روت العامة و الخاصة قوله صلى الله عليه وآله: «أقضاكم علي»، و القضاء هو الفقه، فهو ـ إذن ـ أفقههم. وقد روى الكل أيضاً أنه صلى الله عليه وآله قال له وقد بعثه الى اليمن قاضياً: «اللهم اهد قلبه وثبّت لسانه» قال: فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين وهو الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر. وهو الذي أفتى في الزانية الحامل. وهو الذي قال في المنبرية: «صار ثُمنها تُسعاً» وهذه المسألة لو فكّر فيها الفَرضيّ (الحسّاب) طويلاً لاستُحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب، فما ظنك بمن قاله بديهة واقتضبه ارتجالاً»[2].

***

(١) والسيد القندوزي الحنفي عدّ مالك من تلامذة الامام الصادق عليه السلام، ينابيع المودة: ٣٨٠.
(٢) شرح النهج للمعتزلي الشافعي: ١٨، ١٩.

الشاهد الثاني:

محمد بن طلحة الشافعي في كتابه «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول» يعقد الفصل السادس من كتابه في بيان المقام السامي من علم علي عليه السلام فيكتب ويفصّل القول حول أدلة دعواه وشواهدها من كتاب الله وسنة رسوله، ومامصدر عنه عليه السلام من الأحكام والأقضية في المواضيع المشكلة والوقائع المعضلة في عهود الخلفاء الثلاث وفي عهد خلافته عليه السلام، ولها دلالة واضحة على براعته العلمية وتفوّقه على سائر الصحابة. ثم يبدأ بتصنيف العلوم المتعارفة على عهد المؤلف الى قسمين: على الأُصول وعلم الفروع، ويقسم علم الفروع أيضاً الى قسمين: قسم يرتبط بالأحياء وقسم آخر يرتبط بالأموات، ثم يذكر أقسام العلوم المتعارفة في عهده واحداً فواحداً ويُنهيها الى علي عليه السلام بدلائل لامجال لشرحها هنا الآن، فيذعن أن كل العلوم الاسلامية تنبع من ذلك المنبع وأن كل علماء الاسلام في جميع العلوم عيال عليه وتلامذة مدرسته.

الشاهد الثالث:

هو أيضاً في كتابه المذكور ينقل حديثاً نبوياً شريفاً عن القاضي البغوي: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله تصدّى يوماً لوصف فضلاء أصحابه فوصف كل واحد منهم بوصف وفضيلة تخصّه فقال: «أفرضكم زيد بن ثابت، وأقرأكم أُبي، وأعلمكم بالحلال والحرام مُعاذ بن جبل، وأقضاكم علي».

ثم يستعمل استنباطاً دقيقاً من هذا الخبر لأعلمية علي عليه السلام. وطريقة استنباطه المذكور أن قال: نحن حينما نقسّم العلوم وندرسها قلما نجد علماً يرتبط أو يُناط بعلم آخر، ولوكان فانما يرتبط بعلم أو اثنين أو ثلاث أو أربع لا اكثر، فمثلاً علم النحو يرتبط بالصرف، وعلم المعقول يرتبط بالمنطق، والجبر والمقابلة بالحساب، وعلم الفقه بالأُصول والحساب والهندسة والهيئة

والدراية. وانما العلم الذي يرتبط بكل العلوم والفنون مباشرة او بالواسطة هو علم القضاء فقط، فالقضاء في رتبته العالية أوقل رئاسة مجلس القضاء الأعلى يتوقف على اشتمال كل العلوم، ذلك أن القضاء في جميع الوقائع المشكلة وحلّ كل موارد المنازعات والمشاجرات بين المجتمع، وهو منصب قاضي القضاة والأعلم بالقضاء، وذلك موقوف على مهارته في جميع العلوم والفنون والأعلم بالقضاء والقاضي بقول مطلق هو مَن يتمكن من الحكم في جميع الوقائع وكل موارد النزاع وحلّها والفصل فيها بالقضاء العادل . وعليه فيمكن الدعوى بالضرس القاطع بأن لجميع العلوم ارتباطاً مباشراً بمنصب القضاء العام والمطلق، وأن الخبرة في كل العلوم من شأن الأعلم بالقضاء.

ثم يستنتج من هذه المقدمة نتيجةقطعيةبأنه حيث عرّف الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله علياًعليه السلام بأنه أعلم بالقضاء، من ذلك نكتشف أنه صلى الله عليه وآله كان يرى علياً عليه السلام أفضل وأعلم من سائر الموصوفين بالخير فيه، ولذلك عرّفه بهذا العنوان. اجل هذه هي كيفية استنباط القضية لدى ابن طلحة الشافعي.

ومؤلف هذا الكتاب بعد تقديم الاعتذار الى مقام الشيخ الشافعي يقول:

هذا الاستنباط وإن كان عميقاً ودقيقاً وجديراً بكل تقديس وتقدير، ولكنّا لاثبات هذا الموضوع أي اعلمية علي عليه السلام من سائر الصحابة لاحاجة لنا إلى هذا القبيل من التدقيقات، فان لدينا من النصوص الصريحة بهذا الصدد من الكتاب والسنة من نفس كتب أهل السنة اكثر من حدّ الكفاية وفوق قدر الحاجة:

احدها: مامر: قريباً على القاريء الكريم: أن الرسول صلى الله عليه وآله كان يقول:

«قُسّمت الحكمة عشرة أجزاء فأُعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً، وهو ألمّ بالعُشر الباقي»[1].

---

(١) ينابيع المودة: ٧٠.

الثاني: مانقله السيد القندوزي الحنفي في «ينابيع المودة» من عدة طرق قال:

«لما نزلت هذه الآية: «وكل شيء أحصيناه في امام مبين»[1] قالوا: يارسول الله هو التوراة أو الانجيل أو القرآن؟ قال: لا. فاقبل علي عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله: هو هذا الامام الذي أحصى الله فيه علم كل شيء»[2].

الثالث: روى القندوزي الحنفي عن أبي نعيم والثعلبي بسنديهما عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: سألت رسول الله عن قوله الله عزوجل: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب»[3] قال: ذاك أخي علي بن أبي طالب[4].

الرابع: روى الخوارزمي في «المناقب» عن كتاب سليم بن قيس الهلالي التابعي الكوفي عن علي عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ولاتقدّموا منهم، ولا تخلّفوا عنهم، ولاتعلموهم فانهم أعلم منكم»[5].

الخامس: روى الخوارزمي في «المناقب» بسنده عن سلمان «رضي الله عنه» عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «أعلم امتي علي»[6].

فمع هذه الاخبار الصريحة التي أثبتنا نحن هنا شطراً منها لاحاجة الى هذا القبيل من الاستنباطات العلمية أو الظنية لاثبات أعلمية علي عليه السلام.

***

(١) يس: ١٢.

(٢) ينابيع المودة: ٧٧ عن المناقب للخوارزمي بسنده عن أبي الجارود عن الباقر، عن أبيه عن جده الحسين عليهم السلام.

(٣) الرعد: ٤٣.

(٤) ينابيع المودة: ١٠٣.

(٥) ينابيع المودة: ٣٤.

(٦) ينابيع المودة: ٧٠.

الشاهد الرابع:

نقل السيد القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودة» عن «عيون أخبار الرضا» عليه السلام للشيخ الصدوق بسنده عن الريان بن الصلت عن مجلس مناظرة المأمون للامام الرضا عليه السلام مع علماء الأديان والمذاهب قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو وجمع في مجلسه جماعة من علماء أهل خراسان والعراق، فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»[1].

فقالت العلماء: أراد الله بذلك الأُمة كلها.

وقال الرضا عليه السلام: المراد بذلك العترة الطاهرة.. الى أن قال:

وقد فسّر الله عزوجل اصطفاء العترة في الكتاب في اثنر عشر موضعاً: أولهما قوله تعالى: «وأنذر عشيرتك الأقربين»[2].

ثانيها: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً»[3].

ثالثهما: «فمن حاجّك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل: تعالوا ندعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين»[4]. فابرز النبيّ صلى الله عليه وآله علياً والحسن والحسين وفاطمة. وعنى من قوله: «وأنفسنا» نفس علي. وما يدل على ذلك قول النبيّ صلى الله عليه وآله: لتنتهينّ بنو وليعة أو لأبعثن اليهم رجلاً كنفسي! يعني علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. فهذه خصوصية لا يلحقهم

---

(١) الفاطر: ٣٢.

(٢) الشعراء: ٢١٤.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) آل عمران: ٦١.

فيه بشر[1].

بيان: أن مُفاد الآية مساواةنفس علي عليه السلام لنفس النبيّ صلى الله عليه وآله، وواضح أن ليس المراد من المساواة اتحاد النفسي وعينية الروحين مما هو مُحال، بل المراد مساواتهما في جميع الصفات الكمالية النفسانية سوى صفة النبوة حيث تخرج هذه الصفة بمقتضى خاتمية الرسالة والنبوة وبنصّ الرسول في ذيل «حديث المنزلة» وتدخل سائر الصفات الروحية والكمالات النفسانية ولامانع من ذلك، و جملة تلك الصفات الكمالية كمال مرتبته في العلم والمعرفة.

فالاشارة في هذه الآية الشريفة الى فضائل الامام علي عليه السلام وكمالاته بحدّ يمكننا معه أن نكتفي بنفس هذه الآية ، ونثبت امتيازه ورجحانه على كل أهل العلم بعد النبيّ الخاتم بنفس هذا الشاهد الواحد. وكفى.

الشاهد الخامس:

أخرج أحمد بن حنبل في مسنده، وأحمد البيهقي في فضائل الصحابة من صحيحه عن أبي الحمراء قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر الى آدم في علمه، والى نوح في عزمه، والى ابراهيم في حلمه، والى موسى في هيبته، والى عيسى في زهده، فلينظر الى علي بن أبي طالب»[2].

وتفصيل هذا الاجمال بأن الأنبياء وان كانوا متّصفين بجميع صفات الكمال، ولكن كل صفةبرزت منها في أي واحد منهم تعدّ خصيصّة له ويُعرف بها، الا نبينا ورسولنا محمد صلى الله

---

(١) ينابيع المودة: ٤٣، ٤٢.

(٢) ينابيع المودة: ١٢٠، ومطالب السؤول: ٧٤.

عليه وآله اذا كانت صفات الكمال فيه في غاية الكمال.

واذ ننظر في هذا الخبر بنظر التأمل نرى أن كل تلكم الكمالات الفائقة التي كانت في الأنبياء السابقين على تشتت واختلاف، وكان واحد منهم مختصاً بصفة من تلكم الصفات، قد أثبتها النبيّ لعلي عليهما السلام بنحو الجمع والعموم. ولهذا يُعلم أنه قد فاق في ذلك سائر الأنبياء، وأصبح عديلاً لمرتبة النبوة الخاتمة.

ومن هنا يعلم جيداً المعنى الدقيق لآية المباهلة، وسرّ حديث المنزلة، وسرّ مؤاخاة الرسول بعليّ، وحقيقة معنى الحديث النبوي الشريف: «أنا وعلي من شجرة واحدة» و «أنا وعلي من نور واحد».

وعلى هذا الاستنباط يكون مُفاد هذا الخبر: أن كلّ ما كان بارزاً في الأنبياء، فهو مجموع في علي عليه السلام.

الشاهد السادس:

روى السيد القندوزي الحنفي في كتابه «ينابيع المودة» عن «شرح الكبريت الأحمر» قال: قال علي عليه السلام: «لو كسرت لي الوسادة وجلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم» الحديث. ثم قال:

فلينظر الى جامعيته بعلم خاتم الرسل وبعلوم شرائع الأنبياء السابقين. وليست له هذه الجامعية بمطالعة كتبهم، بل جامعيته من الوراثة والعلم اللدنيّ والالهامات الآلهية. وهذه المرتبة للانسان الكامل، وهو آثر المنازل الخمسة عند الصوفية. والانسان الكامل جامع لجميع المظاهر الآلهية وهو نبينا صلى الله عليه وآله ووارثه» انتهى[1].

ومحمد بن طلحة الشافعي في كتابه «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول» في شرح قوله

---

(١) ينابيع المودة: ٧٠.

عليه السلام: «إنّ بين جنبيّ علماً جمّاً لا أجد له حملة» و «بل اندمجت على مكنون علم لو بُحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطّوى البعيدة» قال: «إن العلم المكنون الذي لو باح به اقتضى اضطراب سامعيه ليس علماً قد اكتسبه بقراءة ودراسة، ولابمباحثة وتكرار، بل هو علم لدنيّ قد قذف الله تعالى نوره في قلبه من مشكاة تقواه، وألهم اياه لمّا تجلّى زهده في متاع دنياه. وقد صرّح كتاب الله وسنة نبيّه بذلك فقال عز من قائل: «واتقوا الله ويعلّمكم الله»[1] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من زهد في الدنيا علمه الله بلاتعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيراً» وهذا لفظ الحديث فيما رواه الحافظ بسنده في «حليته» وقد كان علي عليه السلام أحكم هذين الدليلين وسلك هذين السبيلين»[2].

إن ابن طلحة وإن كان من كبار علماء أهل السنة من الشافعية، ولكنه كان حليف الانصاف بعيداً عن التعصّب والاعتساف حتى أنه اعتقد في فضائل علي عليه السلام بمعتقدات الشيعة الامامية.

الشاهد السابع:

جلال الدين محمد بن سعد الدين أسعد الدّواني المعروف بالعلّامة والمحقق الدّواني (نسبةً الى دوّان من مدن شيراز من بلدان فارس من بلاد ايران) هو أحد كبار علماء أهل السنة وله تصانيف كثيرة في المنقول والمعقول، منها رسالة أسماها «نور الهداية» بالفارسية، لخّص شطراً منها المؤرخ الشهير «فرصة الدولة الشيرازي» في تاريخه باسم «آثار العجم» وقال: إن محتوى هذه الرسالة أُصول معتقداته من المبدأ حتى المعاد بالاستدلال والبرهان. وها نحن نعرّب عباراته وفقاً لحكاية المؤرخ المذكور، يقول في مسألة الامامة:

«إن علماء أمة محمد صلى الله عليه وآله وإن اتفقوا على أنه لابدّ أن يكون بعد النبيّ خليفة عنه

---

(١) البقرة: ٢٨٢.

(٢) مطالب السؤول: ٢٨.

اماماً في امته، ليكون معلمهم علمياً وعملياً ومروّجاً لاحكام دينهم و عامراً لهم دنياهم ناشراً لدين رسول الله وحافظاً له.. ولكنهم اختلفوا في المستحق لذلك من أمته في نفسه.

فاستقر رأي جمع منهم على أن الخليفة بالحق بعد النبيّ أبو بكر ابن أبي قحافة، وبعده عمر بن الخطاب، وبعده عثمان بن عفان، وبعده علي بن أبي طالب عليه السلام.

وذهب جمع الى أن الخليفة بلاواسطة لم يكن أحد سوى علي بن أبي طالب وبعده من الامام الحسن حتى المهدي الهادي عليهم السلام.

والخلاف في الأسلاف وان كان كثيراً في تعيين الخليفة، ولكن الحقّ دائر بين هذين المذهبين المذكورين حسب الأقوال المعتدّ بها. وقد رأيت في كتب كلّ من الفريقين لاثبات دعاويهم أقوالاً واستدلالات اكثر من أن أتمكن من تحريرها هنا، ولكن لما عرضت أقوال كل من الطائفتين لدى القانون العقلي قضيت: بأن خليفة النبيّ نموذج عنه فلابد أن يكون أشبه الناس به في الكمالات العلمية، والنفسية والروحية، ولابد أن يكون ذانفس قدسية لكي يكون حسب استعداده الذاتي معصوماً منذ خلقته وحتى الأبد، ولتكون أقواله حجة بلا احتمال عقلي للخلاف، فيبقى بذلك دين النبيّ ورسالة الرسول.

وقد كنت علمت من تتبع الأقوال المتفق عليها والمختلف فيها أن الكمالات العلمية والعملية لأمير المؤمنين علي عليه السلام الى درجة بحيث أن النبيّ صلى الله عليه وآله عدّه في رتبته بموجب أمر الله تعالى، كما تنطق بذلك آية المباهلة حيث قال الله تعالى: **«فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على القوم الكاذبين»**[1].

إذ كان المراد من «أنفسنا» علي المرتضى عليه السلام باتفاق المفسّرين كما أن المراد من «أبنائنا» الحسن والحسين، والمراد من «أنفسنا» فاطمة الزهراء. وعرفت أن نفس علي عليه السلام

---

(١) آل عمران: ٦١.

قدسية وعلمه لدنيّ بخلاف الخلفاء الثلاثة، حيث كانوا مشركين سابقاً باتفاق المؤرخين من الأولين والآخرين، وقد صرفوا مدداً مديدة من أعمارهم في عبادة الأصنام وما كان حراماً بحسب حكم العقل السليم، وبعد ذلك لما أرادوا أن يتشرّفوا بشرف الاسلام لم يؤمنوا به بمجرد قول المصطفى ودليل العقل، ولم يقولوا بذلك بالتوحيد الا بعد مشاهدة المعاجز. وبعد أن اسلموا أخطأوا وغلطوا في امور الدين حتى انهم اعترفوا بذلك، وإن خبر «لولا علي لهلك عمر» أشهر من أن يذكر. ومن هذا عُلم أنّ استعداد نفوس اولئك لم تكن حتى مرتبة بعض أوساط الناس من حكماء الاسلام أو مثل لقمان أو بقراط وأفلاطون وأرسطو، حيث كُتب عنهم أنهم كانوا قد دانوا بتوحيد الله بعقولهم، ولم يرضوا بعبادة الأصنام أصلاً.

ولهذا فقد أيقنت بأن الخليفة الحق بعد النبيّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبعده الامام الحسن ثم الامام الحسين الى المهدي الهادي عليهم السلام[1].

انتهى ما كان في نظرنا من ذكر الشواهد التاريخية وعترافات علماء أهل السنة بالشخصية البارزة العلمية والعملية لعلي عليه السلام، واكثر من هذا ليس في وسع هذه الرسالة، ومن أراد التفصيل فعليه بمراجعة الكتب المفصلة وتواريخ أهل السنة

يقول مؤلف الكتاب: أنا قليل البضاعة من كتب أهل السنة، ولا يحضرني من كتبهم سوى هذه الكتب الثلاث: مطالب السؤول في مناقب آل الرسول لمحمد بن طلحة الشافعي، وينابيع المودة للسيد القندوزي الحنفي، وشرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي الشافعي البغدادي المدائني، ومع ذلك نرى أن ما يشهد للشيعة في هذه الكتب الثلاثة من الوفور بحيث لو احترقت كل مكتبات الشيعة لاسمح الله، لكفت هذه الكتب الثلاثة مستنداً للشيعة في إيمانهم بعقائدهم الخاصة بهم. نعم لدينا من كتب الشيعة وتصانيفهم التي نقلوا فيها لهذا الموضوع شواهد

---

(١) بالفارسية: آثار العجم: ٣١١ لفرصة الدولة الشيرازي نقلاً عن «نور الهداية» للعلاّمة المحقق الدواني الشيرازي. وفي طبعة اصفهان: ١٢٠ ـ ١٢٣ في مجموعة رسائل باسم: الرسائل المختارة.

اكثر من كتب أهل السنة وتواريخهم، ولكن لامجال لنا هنا لذكرها.

وأنا أدّعي أنّ من يتتبّع في مصنّفات علماء أهل السنة ـ حتى غير القائلين منهم بتفضيل علي عليه السلام ـ مع ذلك يرى أن أقلامهم قد طغت بين كلماتهم فصدقّوا بأفضليّة علي عليه السلام من دون ارادتهم واختيارهم «رمية من غير رام».

حتى أن رجلاً مثل أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المصري، المعروف بتعصبّه، والذي لايتّهم بأي ميل الى الشيعة، بل انه لعلّه كان من بني مروان ـ كما قيل ـ ولذلك كأنه يحمل شيئاً من العداوة الموروثة بينهم لأهل بيت رسول الله، مع هذا فقد كتب رسالتين في تقديم علي عليه السلام وتفضيله على سائر الصحابة، أورد مختصراً منها المرحوم الشيخ علي بن عيسى الأربلي في كتابه «كشف الغمة في معرفة الأئمة»[1].

بل قد نقل صاحب «روضات الجنات» عن «محاضرات» الراغب الاصبهاني حكاية عن عمر ابن الخطاب تصديقاً صريحاً بأفضلية علي عليه السلام و أولويته بالخلافة والامامة، هي:

روى الزبير بن بكّار في كتاب «الموفّقيّات» عن عبدالله بن عباس قال:

أني لأماشي عمر بن الخطاب في سكة من سكك المدينة، إذ قال لي:

يابن عباس، ما أرى صاحبك (يعني علي بن أبي طالب) الا مظلوماً!

فقلت في نفسي، والله لايسبقُني بها: فقلت:

يا أمير المؤمنين، فاردد اليه ظلامته!

فانتزع يده من يدي ومضى يُهَمْهِم ساعة، ثم وقف، فلحقته، فقال:

يابن عباس: ما أظنّهم منعهم عنه الا أنّه استصغره قومه! فقلت في نفسي: هذه شرّ من الاولى فقلت:

والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ «براءة» من صاحبك (يعني أبابكر)

---

(١) كشف الغمة ١ : ٢٩ ـ ٣٦ و ٣٦ ـ ٣٩ ط تبريز.

فأعرض عنّي وأسرع، فرجعت عنه[1].

وهنا نقطة دقيقة ولغز مظلم هو: كيف مع كل هذه الدلائل الواضحة على أفضلية علي عليه السلام، مع ذلك، نرى بعض الكبار من علماء أهل السنة قد أوغلوا في الحيرة والتردّد في هذه المسألة، بل نرى بعضهم قد أوغلوا في الخطأ والاشتباه فرجحّوا عليه غيره! وقد أصبحت هذه القضية لدى الشيعة باعثاً على العجب والحيرة بحيث لا يتصوّرون له محلاً سوى العناد واللّجاج وقول الزور لاسمح الله!.

دعايات الأمويين:

ولكن مايبدو بعد التأمل العميق والدراسة الدقيقة هو أن العامل الأهمّ لايجاد هذه الشبهات هي الدعايات الخبيثة لبني أمية، فانهم إذ لم يتمكّنوا من أن يلوّثوا تاريخ حياته عليه السلام بأيّ لوثة بحيث يمحون بذلك أشعّة مناقبه وفضائله، لم يجدوا أيّ وسيلة لاطفاء نار حسدهم وعداوتهم له سوى أن يتوصّلوا بواسطة قبضة من أعدائه الغادرين المتحزبين كعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأبي هريرة وأمثالهم الى أن يضعوا ما استطاعوا من الأخبار والأحاديث الكاذبة المفتراة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وإن لم يكن لهذا القبيل من أصحاب رسول الله مقام سام بين الصحابة، بل كان اكثرهم كعمرو بن العاص والمغيرة معروفين بالفسق والفجور والسوابق السوداء والسيّئة.

وحيث كان الأمويون وعملاؤهم يعلمون بعدم التأثير التام لوضع الأحاديث على لسان رسول الله في ذم علي عليه السلام والقدح فيه، وأنهم سوف لا يستنتجون النتيجة المرجوّة لهم من ذلك، إذ أن «حبل الكذب قصير» وإن خالها تخفىٰ على الناس تُعلم» ولو بعد حين..

..لأنهم كانوا يرون أن ماحيك لعلي عليه السلام من الجلالة والعظمة من الكتاب والسنة، من

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢: ٤٥، والمحاضرات للراغب الاصفهاني: ٢٥٢.

العصمة بحيث أنّ أقل نقدٍ فيه كأنّه مُحال ممتنع أو دونه خرط القتاد!

..لذلك ـ ومن باب الاضطرار ـ حملوا اولئك الملوّثين على وضع الأخبار ونشر الأحاديث الكاذبة على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله في المدح والمنقبة للآخرين نظراً إلى أنهم لعلهم يصنعون بذلك نظراء له ومماثلين، فلعلّهم بذلك يقللّون من سموّ مقامه ونبوغه وعلّوه!.

ويشهد لذلك أن من يتصفّح أبواب فضائل الصحابة في كتب أهل السنة يرى أن أيّ خبر فيه اطراء وافراط في المديح والثناء على من سوى علي عليه السلام من الصحابة، فانّما هو من الحناجر غير الطاهرة من هُواة بني أُمية ورافعي راياتهم، من أعداء علي عليه السلام، وأن أمارات التزوير بادية فيها.

فبمقتضى علمي الدراية والرجال لابدّ أن تكون هذه الأحاديث التي رواها هذا القبيل من الرجال مما انفردوا بنقله عمّن سواهم، ساقطة عن درجة الاعتبار والاعتماد، ذلك أنها لا تشتمل على شروط الصحة،فلا تقاوم ولاتُعارض ما بلغنا من الأحاديث المتواترة في فضل علي عليه السلام.

وعلى هذا الأساس فنحن لا نعذر من شك أو تردد في فضل علي عليه السلام، فضلاً عن من فضّل عليه غيره بالاستناد الى هذا القبيل من الأخبار الفاقدة الاعتبار.

أضف الى ذلك أنّا مع غضّ النظر عن كل تلك الدسائس والتزويرات من بني أمية، ومع صرف النظر عن علل ضعف الأسناد وشذوذ تلك الأخبار، لو نظرنا بعين القاضي المنُصف في مجموع فضائل الصحابة في كتب أهل السنة، وقارنّاها بفضائل علي عليه السلام فيها ـ ومع كل تلك الدسائس والدعايات ـ نرى أن فضائل علي عليه السلام على رأس كل فضائل الصحابة، بل لايمكن قياسها بها، وأنه عند التعارض يكون الترجيح والتقديم لأخبار فضائل علي عليه السلام قطعاً.

اقرأوا مثلاً: قصة مناظرة علماء القرن الثاني والثالث في موضوع فضل علي عليه السلام

بمحضر المأمون العباسي، وقضاء الخليفة فيما بينهم، في الجزء الثالث من كتاب «العقد الفريد» لأحمد بن عبد ربّه الأندلسي، فانها ستحل لكم هذه المسألة.

ومن المفكّرين المحدَثين:

بقي الآن نقل شهادات بعض المفكرّين الغربيين بهذا الشأن:

علي عليه السلام اكبر شخصية اسلامية بعد النبيّ، لدى الأجانب:

يقول توماس كارليل احد الباحثين المستشرقين: إن عليا عليه السلام أحد الحكماء البارزين، والقوّاد الماهرين، والذين خَدموا الانسانية بحق، وأحد بُناة الحضارة الحاضرة اليوم، إنه صهر رسول الله محمد نبيّ المسلمين وابن عمه، وهو الذي منح العلوم والثقافة رونقاً جديداً.

ويقول آبر الامريكي: إن علياً عليه السلام كان حكيم الاسلام، كانت له مهارة كبرى في العلوم، مما لا يمكن معها أن نحذفه من عداد سائر الحكماء والفلاسفة في العالَم.

ويقول المسيو ماربين الفيلسوف الالماني القدير في كتابه «السياسة الاسلامية»: يقول رسول الاسلام بشأن أمير المؤمنين: «يا علي، إنه لا يحبّك الامؤمن، ولا يبغضك الا منافق» و«علي منّي وأنا من علي» فهو أحق بزعامة المسلمين وخلافتهم من أي شخص أخر. وحينما تأتّى عليه السلام عن تقبّل سلطان الاسلام (بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان) قالوا له بأجمعهم: يا أبا الحسن؛ نحن أطوع لك من بنان ايدينا لنا، فمن ذا لا يطيع ابن عمّ رسول الله ووصيه وأخاه ومن تربّى في حجره؟! إنه هو الذي قال فيه رسول الله: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وَالِ من والاه وعاد من عاداه» و«إن علياً منّي بمنزلة هارون من موسى» فكيف نختار سواك وأنت فينا؟!(١).

---

(١) هذا مانقله الفاضل المحترم أبو الفضل القاسمي في مقال بعنوان: «قادة الاسلام لدى الأجانب» نشر في الأعداد ٢٢ و ٢٥ و ٢٦ من مجلة «آئين اسلام» بالفارسية ولا أرى ماربين الألماني فيما نقل عنه الا ناقلاً لمعاني الأخبار دون نصّ خاصّ. المُعرّب.

ويقول جرُجي زيدان مدير مجلة الهلال المصرية في كتابه «غادة قريش»: إن عليا عليه السلام هو الذي طرد عنه أخاه الأعمى عقيلاً لالشيء الا لتنفيذ القانون بصورة عادلة. وهو الذي لام ابنته زينب وأم كلثوم على استعارتها قلادة من بيت مال المسلمين. وفي القضاء بينه وبين رجل من يهود المدينة قال لعمر: أيها الرجل اتّق الله ولاتميزني بالكنية دون هذا الرجل اليهودي عند القضاء والحكم. اني أراك تدعوني أبا الحسن بينما تخاطبه باليهودي!.

ان علياً هذا مع أنه كان في الفضائل والسجايا الانسانية خالصاً وكاملاً، وكانت له البراعة التامة في الفهم والكياسة والفصاحة والبلاغة، مع ذلك كان من حيث الشجاعة ومقابلة الأقران معروفاً بالقوة والبطولة بحيث لايمكن أن يُشبّه به في التاريخ الا أمثال «بايارد» البطل الفرنسي الشهير و«مونتروز» القهرمان الاسكاتلندي المعروف[1].

وهنا انتهت باختصار المراحل الثلاث من دلائل الشيعة على عقائدهم الخاصة، أي على عقيدتهم بالشخصية المتفوّقة العلمية والعملية لعلي عليه السلام وفضائله التي لانظير لها ولامثيل، وعقيدتهم بوجوب التقيّد والالتزام باتّباع ذلك الامام وأبنائه الأئمة الكرام في فقه الاسلام وأحكام الدين.

نداء في خاتمة المطاف:

وهنا في خاتمة المراحل المذكورة نوجّه خطابنا الى اخواننا من أهل السنة لنذكّرهم ـ بالاضافة الى مامرّ ـ بأنّنا نحن الشيعة في سيرتنا نستند الى هذه الأدلة الثلاثة المتقنة والبيّنة، والتي كل واحدٍ منها تكفي سنداً لنا.

فيا علماء أهل السنة ومثقّفيهم، أنتم في التزامكم باتّباع أئمة المذاهب الأربعة: أبي حنيفة والشافعي، وأحمد بن حنبل ومالك بن أنس، الى أيّ واحد من هذه الأدلة تستندون؟ فهل

---

(١) غادة قريش لجرجي زيدان.

تعتقدون بعصمتهم؟ وهل ترون ان علومهم من منبع الوحي السماوي أو الالهام الغيبيّ؟ كلاّ، لم يبدو مثل هذه الدعوى لامن نفس أئمة المذاهب ولامن احد من أتباعهم، على أنّه لادليل عليها لامن الكتاب ولامن السنة.

فاذا تجاوزنا هذه المرحلة نتساءل: فهل لكم دليل من كتاب الله أو من سنة رسوله على وجوب اتباعهم؟ حاشا وكلاّ، فاننا مع كل فحصنا في كتب الفريقين وتفاسيرهم لم نجد أيّ عين أو أثر من ذلك ولم نعثر على دليل من هذا القبيل.

واذا فرغنا عن هذه المرحلة أيضاً نتساءل سؤالاً آخر نقول: هل انهم يرون أئمة المذاهب الأربعة أعلم علماء الأمة بعد رسول الله؟ لوكان هناك مدّع لذلك فان هذه الدعوى، ـ بالاضافة الى أنها غير مقرونة بدليل ـ تتنافى مع اعترافات أهل السنة بأنهم كانوا تلامذة الامام الصادق أو أبيه الباقر أو جده علي بن الحسين أو جدهم علي عليهم السلام مباشرة أو بالواسطة أو الوسائط، والفرع لايزيد على الأصل فعلى أيّ أصل ولماذا قيّدوا أنفسهم بهذا القيد؟ ولماذا حصروا الاسلام بهذا الحصار؟!

أما نحن الشيعة إذ تقيّدنا بأوامر علي عليه السلام والأئمة الآخرين من أبنائه، نرى علومهم من الالهامات الغيبية على نفوسهم القدسية المرتبطة بعوالم ماوراء الطبيعة كما عرضنا أدلتنا على ذلك على القُراء الكرام، فلنا الأمر والالتزام الاكيد من الرسول الكريم بمتابعتهم، بالاضافة إلى أننا عرفناهم أعلم علماء أمته وقد دلّلنا على ذلك.

لماذا سدّوا باب الاجتهاد؟

أما أنتم والحال أنكم لاتعتقدون بمثل ذلك في أئمة مذاهبكم الأربعة، ولاتستندون الى أي دليل كأدلتنا فلأيّ سبب جعلتم اجتهاد الأمة حتى يوم القيامة تحت قيمومة آراء اولئك الرجال الأربعة من البشر العاديّين، وسددتم باب الاجتهاد والاستنباط وهو طريق الكمال على عموم أهل

الاسلام؟ بينما ترون بالحسّ والعيان أن جميع العلوم والمعارف والفنون والصناعات، بلغت الى أيّ رتبة من الرقيّ والكمال على أثر تبادل الآراء والأفكار وتوارد الأنظار وحرية الفكر والتجارب.

إن علم الفقه أي فنّ الاجتهاد والاستنباط، والذي هو احد العلوم والفنون المتطورة المتكاملة، قد بلغ بين الشيعة تقدماً ملحوظاً، ذلك لحرية الفكر والنظر، وفتح باب الاجتهاد والبحث والدراسة فيهم؛ بينما هو بين علماء أهل السنة قد حُصر في طريق مسدود فحُرم من التقدم والتطّور، لالشيء الا لحصر المذاهب في الأربعة، ولسدّ باب الاجتهاد والاستنباط على سائر العلماء، والزام أهل السنة من العلماء والعوام بتقليد أئمة المذاهب الأربعة.

نحن نقول: إن هناك تقليدين: ثابت وغير ثابت، أما التقليد الثابت الدائم والخالد المستمر فهو تقليد الكتاب والسنة ومن عرّفته السنّة لتفسير الكتاب وشرح السنة وأعلمونا عصمته في ذلك[1]. وأما التقليد من العلماء فهو بحكم الفطرة والسنة الجارية بين بني البشر ووفقاً للأُصول العقلائية ونظام أهل العالَم، ليس ثابتاً خالداً، بل هو تقليد مؤقت، يتبع الرّقيّ العلمي في أيّ عصر وزمان، فهذا التقليد مقيّد بحياة المجتهد المرجع، وهذا التقليد انما يثبت ويدوم ما دمنا لم نحرز أعلم من ذلك المجتهد في ذلك الفنّ، فانّ هذا التقليد انما هوبمقتضى حكم الفطرة وقانون الطبيعة والغريزة البشرية، أي أن الله تعالى قد أودع في باطن أي جاهل أن يتبع العالم ويقلده، ومن هنا فان الجاهل بأي علم أو فنّ أو صنعة يجد نفسه مضطرّاً الى المراجعة والاستعلام من العالم والاستاذ في ذلك الفن، بحسب فطرته وطبيعته. وبما أن السير الطبيعيّ للعلوم يتوجه دائماً نحو الرقيّ والكمال، وأن العلوم والصناعات ترتقي سلّم الرقيّ يوماً فيوماً، لذلك فان نظرية العالم اللاحق، غالباً أدق وأتقن من نظرية العالم السابق. وعليه فلا يحصل للجاهل سكون الخاطر ووثوق القلب، بحكم فطرته وطبيعته، الا بالمراجعة الى العالم الحي والإفادة من المجتهد في العصر الحاضر،

---

(١) لايخفى أن التقليد من الكتاب والسنة تعبّد بالحجة، وليس التقليد المصطلح أي بلا دليل -المؤلف.

ذلك أن له ظناً أقوى بزيادة نسبة الصحة والمتانة في رأي المتأخر، ومن هنا فهو يحصل من المراجعة اليه على سكون نفس وطمأنينة قلب اكثر.

والآن ونحن نطالب الحكم بالعدل والانصاف نقول:

هل إن هذين النوعين من التقليد المتداول بين الشيعة أحدهما الثابت الدائم، والآخر المتبدّل وغير المستقر، هل انهما مبتنيان على الفطرة والعقل؟ أم على العناد والجهل؟

من الطبيعيّ أن يرى العالم المنصف هذه الطريقة موافقة للعقل والمنطق، ومنسجمة مع الفطرة والطبيعة، فهو يرى الشيعة على حق في أن لاتتّبع أيّاً من هذه المذاهب الأربعة، وأن لاتقلّد أياً من أئمتها، فانها لاتراهم معصومين، ولاترى علومهم من منشأ الوحي والالهام، ولاتجد نصّاً من كتاب أو سنة على لزوم متابعتهم، ولاتراهم اليوم على قيد الحياة ولا أعلم العلماء. إن الشيعة وإن كانوا يعرفون أئمة المذاهب الأربعة في عصرهم اناساً بارزين في العلم بالحديث وحفظ أخبار الرسول، ولكنهم اليوم وبعد مضيّ اكثر من اثنى عشر قرناً من الزمان، وشروق كواكب اكثر ظهوراً منهم، ونوابغ أعلى وأنبل منهم في الاسلام، ممن تركوا آثاراً علمية اكثر قيمة من آثار اولئك، ووسّعوا الفقه الاسلامي وسائر العلوم الاسلامية وقدّموا بها كثيراً، وكثير منهم اليوم يشعّون في مجتمعاتنا كما الشموس المشرقة.. مع كل هذا.. لايستطيعون أن يتابعوا العلماء الماضين منذ اثنى عشر قرناً متراجعين في ذلك القهقرى الى الوراء! ذلك أن علم الاجتهاد والاستنباط ـ كسائر العلوم ـ في بداية ظهوره كان خاماً غير ناضج، وكوليد جديد، ترقّى وتوسّع شيئاً فشيئاً على أثر توارد الأنظار والأفكار حتى بلغ اليوم الى مرتبة بلوغه ورشده.

وبدهي أن الناس لوكانوا في علم الهيئة والفلك باقين حتى اليوم على تقليد «بطليموس» لكانوا يحرمون أنفسهم من اكتشافات «غاليلو» و «فلاماريون» ولوكان الفلاسفة وحكماء الاسلام ثابتين حتى اليوم على تقليد «سقراط» و «أفلاطون» و «أرسطو» لما كانوا يتمتّعون بعلم «صدر المتألّهين الشيرازي» ولما كانت الحكمة الآلهية تبلغ الى هذه الغاية من السموّ والرقيّ والكمال، وهكذا

سائر العلوم والفنون والصناعات لوكانت راكدة على طفولتها الاولى لماكنا نكتشف اليوم الكهرباء والبرق والراديو والذرة، ولماكانت تُصنع غوّاصات البحار ولاطائرات الجوّ كنسور السماء. وإن هذا الموضوع من الوضوح بحيث لاحاجة معه الى اقامة البيّنة والدليل عليه.

وخلاصة الكلام:

وخلاصة الكلام: أن التعبّد بالتقليد يختص بالجاهل، أما العلماء من الذين بلغوا رتبة خاصة من المعارف والعلوم الاسلامية فانهم يحق لهم النظر والتأمل والاجتهاد والاستنباط، ولاينبغي أن نقيّد أفكارهم ونكسر أجنحة أذهانهم، ونخمد مافيهم من روح التحرّي والتطلّع.

إذن وبعد هذه المقدمات المسلّم بها، لايبقى أيّ أساس سليم للتقليد من العلماء الماضين من قبل مئات السنين، أعنى أئمة المذاهب الأربعة، بل انّه يناقض الحكمة في تكامل الطبيعة.

أجل، لوكان مرجع التقليد مستنداً الى الوحي والالهام والتعليم الرباني، على الوجه الصحيح وبدون أي ترديد في ذلك، لم يكن لنا بدّ من تقليده والتسليم له بل يَقصر فكر البشر حينئذٍ عن أن يحوم حوله.

ومما ذكرناه حتى الآن عُلم بوضوح: أن مذهب الشيعة موافق للصواب علماً وعملاً، وبعيد عن اللّجاج والعناد.

استدراك واعتذار:

لايتوهم أحد أننا كنّا نهدف في هذه الرسالة الى الانتقاد من أئمة المذاهب الأربعة، أو تخطئة طريقة أهل السنة في تقليدهم لهم، كلّا، بل انّما قصدنا الأصلي هو البيان للأذهان ـ دفعاً لسوء الفهم بين الاخوة المسلمين ـ عن مستند الشيعة في اتّباعهم لعلي عليه السلام وأبنائه أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فلو استنبط البعض من مطاوي مقالاتنا السابقة ـ بالدلالة الضمنيّة أو الالتزامية ـ الاشكال على أتباع المذاهب الأربعة، فانه لا يحق له أن يحكم بالتفرقة بين هذين الفريقين من المسلمين، فانّما نحن في مقام بيان عذر الشيعة لعدم اتّباعهم لأهل السنة ومجانبتهم لطريقهم، فاذا كان القلم قد تكلّم أكثر من ذلك فالعذر عند كرام الناس مقبول.

ومن المستحسن للاخوة من أهل السنة أن يتأمّلوا اكثر حول كلامنا هذا، فيذعنوا منصفين: بأنّ هذا المقدار مما اضطُرت اليه الشيعة بحكم الدلائل المارّة الذكر، من مجانبتهم لمتابعة أهل السنة للمذاهب الأربعة، لا يشكّل منشأ للشقاق والافتراق، فانما هو اختلاف في التقليد في الفتاوي، اي في فروع التكاليف الفقهية، ولا علاقة له بأصول الدين، وإن للاسلام محوراً واحداً ورايةً واحدة على كافة الفرق الاسلامية أن يلتفّوا حولها، متجنّبين كثيراً من سوء الظنون بسائر اخوانهم المسلمين.

وما توفيقي الاّ بالله، والسلام عليكم وعلى سائر عباد الله، ورحمة الله.

***

فهرس الكتاب

مقدمة المؤلف ٥

حاجة البشرية الى الرسول والرسالة ١١
هل يكفي العقل للتشريع؟ ١٧
فلماذا الحاجة الى بيان القرآن؟ ٢١
برهان و مطلبان ٢٧
الاية المعجزة وحقيقتها ٢٨
شبهة وجوابها في علم النبيّ والامام ٣٥
الفوارق بين النبيّ والامام ٣٦
وكيف نعلم بالاعجاز؟ ٣٧
امتياز الاعجاز عن المشابهات ٣٨
و مامعنى العصمة؟ ٣٩

العصمة والقدرة ٤٠
قاعدة اللطف ٤٢
العصمة والمعصية؟ ٤٣
لماذا الدعاء؟ ٤٧

بحث حول علم النبيّ والامام ٥١
مقدمة الموضوع ٥٣
وَهن هذه النظرية ٥٧
علم النبيّ والامام ٦٠
نموذج من العلم الآلهي ٦٢
علم النبيّ والامام بالأمور المادية ٦٣
علم الامام بالحساب والأرقام ٦٥
الامام والهندسة والجغرافية ٦٦
الامام والنجوم ٦٩
الامام والاحكام الفلكية ٧١
الامام والموسيقي والفيزياء ٧٣
الامام والكيمياء ٧٤
الامام ووظائف الاعضاء ٧٥
الامام والميكروبات ٧٦
الامام وطبقات الأرض ٧٧
الامام والفلسفة واللغات ٧٨

الامام والعربية ٧٩
الامام والبلاغة والعروض ٨٠
الامام والامور السياسية ٨١
الامام والعلوم الغريبة ٨٢

الأدلة العقلية على علم النبيّ والامام بالأمور المادية ٨٥
والأدلة النقلية ٩٣
من القرآن الكريم ٩٥
وكيف يحيطون بكل ذلك ١٠٠

بحث حول الشيعة والمذاهب الأربعة ١٠٥
مقدمة الموضوع ١٠٧
أسباب الخلاف ١٠٨
المرحلة الاولى في اشتراط العصمة في الامام ١١٥
المرحلة الثانية ١٢٩
المرحلة الثالثة ١٣٥
الشاهد الأول ١٣٧
الشاهد الثاني والثالث ١٣٩
الشاهد الرابع ١٤٢
الشاهد الخامس ١٤٣

الشاهد السادس ١٤٤
الشاهد السابع ١٤٥
دعايات الأمويين ١٤٩
ومن المفكرين المحدثين ١٥١
خاتمة المطاف - نداء ١٥٢
لماذا سدّوا باب الاجتهاد؟ ١٥٣
وخلاصة الكلام ١٥٦